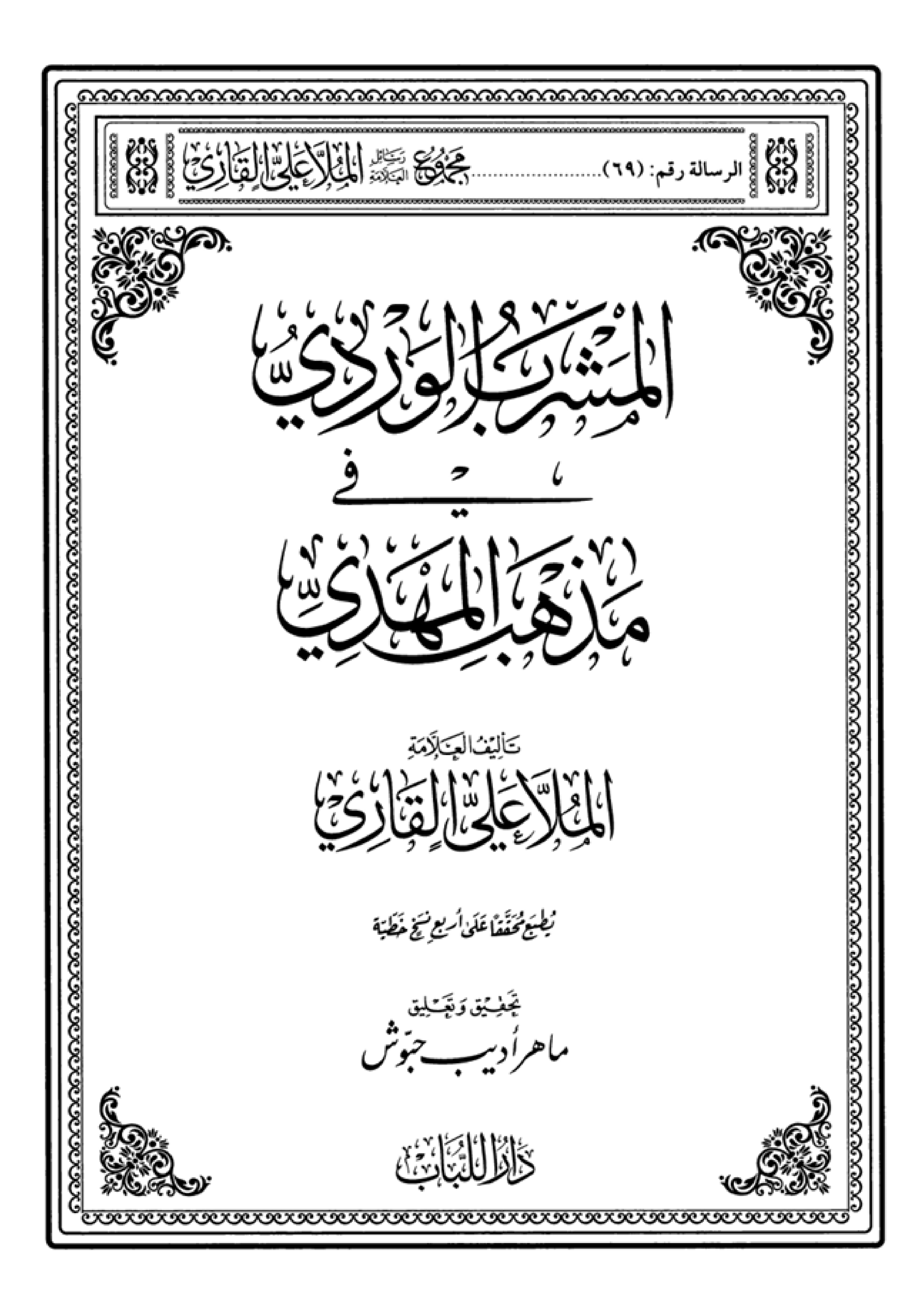


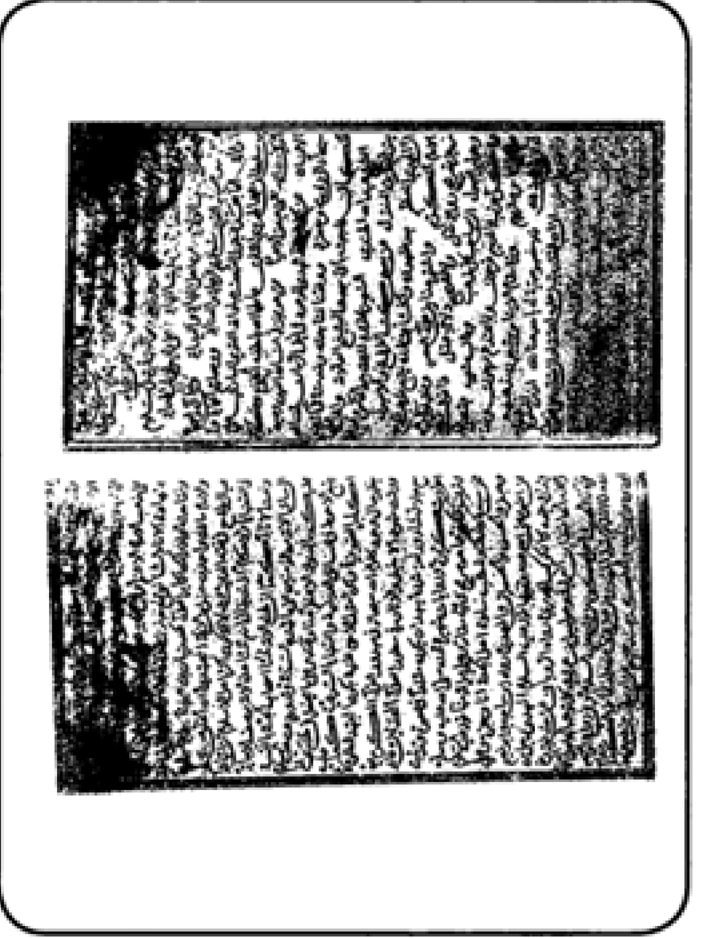
المشرب الوردي في مذهب المهدي

تأليف العلامة
الملا علي القاري

طبع محققاً على أربع نسخ خطية

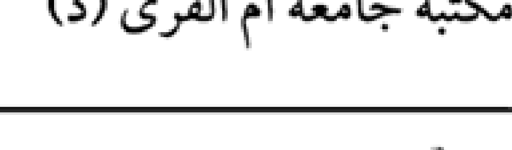
تحقيق وتعليق
ماهر أديب حبوش

دار اللباب

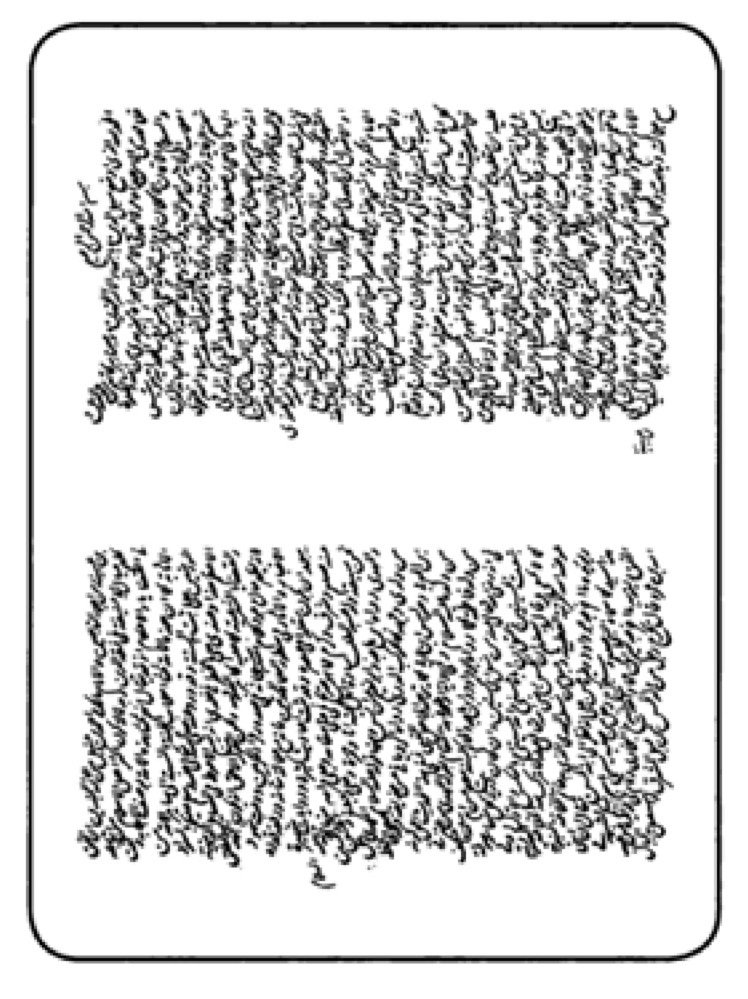




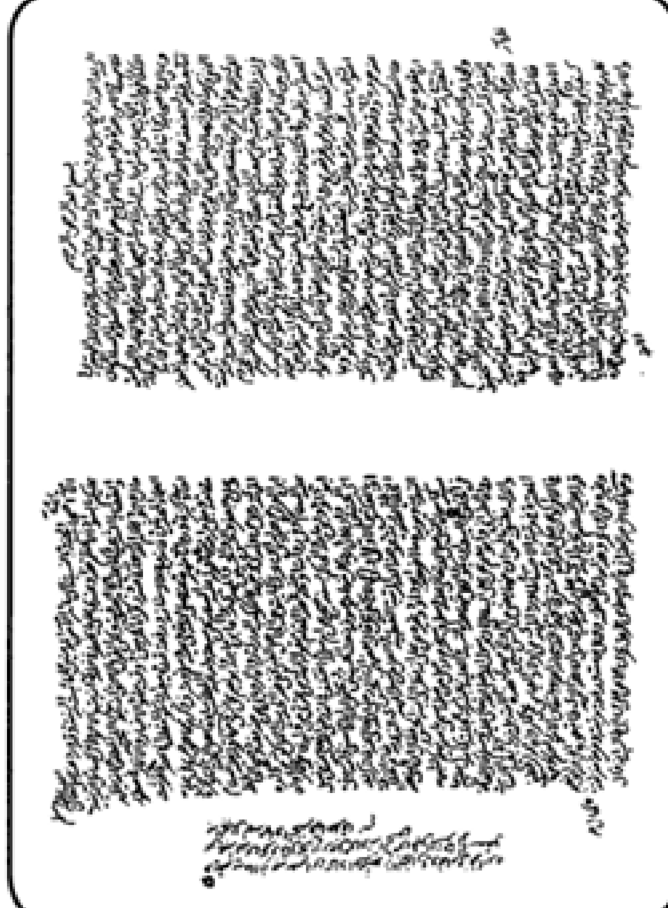
مكتبة الجامعة الإسلامية (ج)



مكتبة جامعة أم القرى (د)

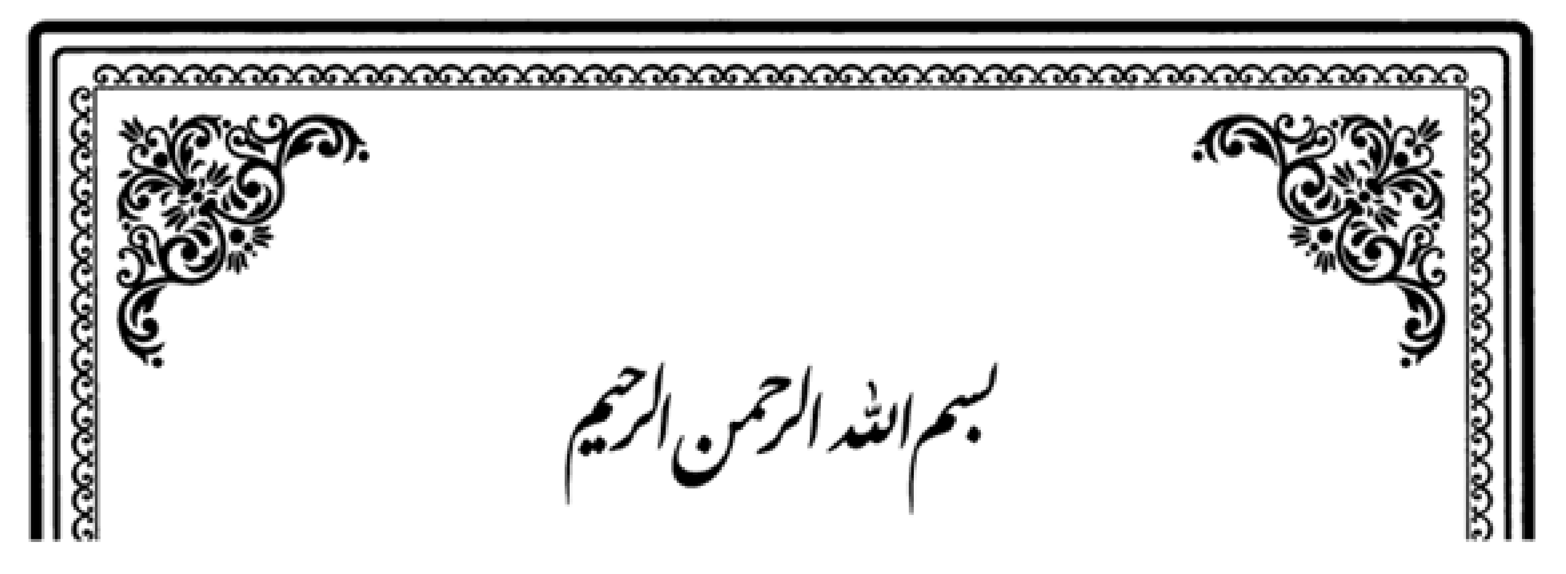


مكتبة فاضل أحمد (ف)





مكتبة قونية (و)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي أوضحَ سُبُلَ[1] الدِّين، باجتهادِ الأئمَّةِ المجتهدِين، وجَعَلَنا ببركاتِهم من جُملةِ المهتدِين، فلا مَهدِيَّ إلَّا مَن هَدَاه، ولا مَهوِيَّ إلَّا مَن اتَّبعَ هواه بغيرِ هدًى من الله.

والصَّلاةُ والسَّلامُ الأتَمَّانِ الأكملانِ في مراتب النِّهاية، على رئيسِ أربابِ الهداية، وسَئِيسِ أصحابِ الولاية، من أهلِ النِّهايةِ والبداية، وعلى آلِه وأصحابِه، وأتباعِه وأحبابِه، الذين شملَتْهم الرِّعايةُ والعنايَة، ووصلَتْهم الحمايةُ والوِقايَة.

أمَّا بعدُ:

فيقولُ أضعفُ عبادِ اللهِ القويِّ البارِي، عليُّ بنُ سلطانِ محمَّدٍ الهرويُّ القارِيْ، عامَلَهما اللهُ بلطفِه الخفيِّ، وكرمِه الوفيِّ: إنَّه سألَني بعضُ الأعيانِ، ممَّن هو بمنزلةِ إنسانِ العينِ وعينِ الإنسانِ، عن الإمامِ محمَّدٍ المهديِّ الموعودِ في آخرِ الزَّمانِ، بلَّغَنا اللهُ سبحانَه إلى رؤيتِه وحضرتِه، ووفَّقَنا اللهُ لمتابعتِه وخدمتِه في أشرفِ المكانِ.

فأجَبْتُه: بأنِّي سمعتُ الشَّيخَ العلَّامةَ، والمُفيدَ الفهَّامةَ، الشَّيخَ عبدَ اللهِ الهنديَّ، الشَّهيرَ بـ (مخدومِ المُلْكِ)[2] بين الخاصِّ والعامِّ، يقولُ بطريقِ المنقولِ، عن بعضِ

---

(١) في «د»: «سبيل».

(٢) هو عبد الله الأنصاريُّ السلطانبوريُّ الهندي، المتوفى مسموماً في سنة (١٠٠٦هـ)، من تصانيفه: «عفيفة الأنبياء»، و«كشف الغمة عن بصائر الأئمة»، و«منهاج الدين». انظر: «هدية العارفين» (١/ ٤٧٣).

كتبِ الفروعِ أو[1] الأصولِ: إنَّ الـمَهْدِيَّ المعظَّمَ بعد ظهورِه وانكشافِ نورِه، يتَّبعُ مذهبَ أبي حنيفةَ الإمامِ المكرَّم، واشْتَهَرَ هذا بين علماءِ العصرِ، وفضلاءِ الدَّهرِ، من غيرِ تصريحِ روايةِ نَقْلٍ، ولا تصحيحِ دلالةِ عَقْلٍ[2].

فأقولُ، وباللهِ وحولِه أَصُولُ:

إنَّ صاحبَ كلِّ مذهبٍ، وطالبَ مشربٍ، بمقتضَى قولِه تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، وبما عندَهم مَرِحونَ، وقد عَلِمَ كلُّ أناسٍ مشربَهم، وفي مقامِ الإيناسِ يتَّبعونَ مذهبَهم = له أنْ يدَّعيَ ذلك، فلا خصوصيَّةَ له بأحدٍ هنالك؛ إذْ من المعلومِ المقرَّرِ، والمفهومِ المعتَبرِ، أنَّ المقلِّدَ يَتعيَّنُ عليه اعتقادُ أنَّ مقلَّدَه على الصَّواب، وغيرَه على الخطأ في هذا الباب.

ولذا[3] قال إمامُ الحرمينِ ـ بل قيل: إنَّه مُفتي الثَّقلينِ ـ في رسالتِه المسمَّاةِ بـ«مغيثِ الخَلْقِ إلى الحقِّ»: إنَّه يجبُ على العباد، في جميع البلاد، شرقاً وغَرْباً، وعجماً وعُرْباً، أن يكونوا على مذهبِ الإمامِ الشَّافعيِّ المُطَّلبيِّ، وأتى بكلماتٍ واهيَةٍ لا تَخْفَى على العالِمِ والغبيِّ، وقد أجبتُ عنه في رسالةٍ مستقلَّة بواضحاتِ الأدلَّةِ، فإذا كان الأمرُ على هذا التَّحقيقِ، فلا بُدَّ من إظهارِ مرجِّحٍ في مقامِ التَّوفيقِ.

فاعلمْ: أنَّ المهديَّ إذا اختارَ التَّقليد، ورضيَ بعدمِ التَّأييد، فلا شكَّ أنْ يكونَ على مذهبِ الإمامِ الأعظمِ، والهُمامِ الأقدمِ؛ لكونِه في مقامِ الفقهِ أفضلَ وأعلمَ، بشهادةِ الإمامِ الشَّافعيِّ مع جلالتِه ونَباهتِه، وكمالِ حَذَاقَتِه وفَقَاهَتِه، وإدراكِ أكابرِ

---

(١) في «د» و«ج»: «و».

(٢) في «د»: «العقل».

(٣) في «ج»: «وكذا».

العلماءِ؛ كسفيانَ بنِ عُيَينةَ من أجلَّاءِ التَّابعينَ، والإمامِ مالكٍ وأحمدَ بنِ حَنبَلٍ من الأئمَّةِ المجتهدينَ: أنَّ الخَلْقَ كلَّهم عِيالُ أبي حنيفةَ في فقهِ الدِّينِ، وبدَلالةِ كونِ أكثرِ أهلِ الإسلامِ من أتباعِه في القضايا والأحكامِ؛ إذْ قد يُقالُ: إنَّهم ثُلُثا هذه الأُمَّةِ بوصفِ الإجابةِ ونعتِ الإثابةِ، كما أنَّ هذه الأُمَّةَ ثُلُثا أصحابِ الجنَّةِ بالنِّسبةِ إلى سائرِ الأُمَّةِ من المؤمنينَ على ما ثبتَ به السُّنَّة، وقد وردَ عنه ﷺ: «عليكم بالسَّوادِ الأعظمِ»[١].

هذا، وعندي على ما يَخطرُ في خَلَدي: أنَّه يتَّبعُ الأحوطَ في المسائلِ الدِّينيَّةِ والقضايا الشَّرعيَّةِ كما عليه أكابرُ الصُّوفيَّةِ، ولكنَّ القولَ الأحقَّ أنَّه يكونُ المجتهدَ المُطْلَقَ؛ لأنَّه يَظهرُ حالَ وجودِ كلامِ اللهِ سبحانَه في صدورِ القُرَّاءِ المكرمينَ، ووقتَ شهودِ الأخبارِ والآثارِ في سطورِ العلماءِ المحدِّثينَ؛ فإنَّه مع جلالةِ شأنِه ورِفعةِ قَدْرِه يَبعُدُ أنْ يكونَ مقلِّداً في عصرِه.

وقد ثبتَ أحاديثُ كثيرةٌ ورواياتٌ شهيرةٌ عنه ﷺ، وشرَّفَ وكرَّم، ممَّا هو صريحٌ في عَلِيِّ مقامِه وجَلِيِّ مَرَامِه:

منها: قولُه ﷺ: «نحن سبعةٌ ولدُ عبدِ المطَّلبِ، سادةُ أهلِ الجنَّةِ: أنا، وحمزةُ، وعليٌّ، وجعفرٌ، والحسنُ، والحسينُ، والمهديُّ». رواه ابنُ ماجه وأبو نُعيمٍ عن أنسٍ[٢].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «المهديُّ رجلٌ من ولدي، وجهُه كالكوكبِ

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٠٥٩) من طريق أبي خلف الأعمى عن أنس رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً به. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٦٩): هذا إسناد ضعيف لضعف أبي خلف الأعمى واسمه حازم بن عطار.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٧)، ولم أجده عند أبي نعيم، ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٤٩٤٠) وصححه، فتعقبه الذهبي بقوله: هذا موضوع. وانظر: «الحاوي للفتاوى» للسيوطي (٢/ ٥٥)، وعنه نقل المؤلف.

الـدُّرِّيّ». رواه الرُّويانـيُّ عن حُذيفـةَ[١]، وصحَّحَه الحافظُ ابنُ العربـيّ[٢]، وهو ليس ابنُ عربـيٍّ[٣] كمـا يتوهَّمُه الجاهـلُ الغبيّ.

ففي هذا الحديثِ أَجْمَلَ كونَه من ولدِه عليه السَّلامُ، وفي روايةٍ أوضحَه في هذا المقامِ بقولِه: «المهديُّ من عِتْرَتي؛ من ولدِ فاطمةَ». كما رواه أبو داودَ وابنُ ماجه والحاكمُ ـ بسندٍ صحيحٍ ـ عن أُمِّ سَلَمَةَ رضيَ اللهُ عنها[٤].

واختُلفَ في أنَّه رضيَ اللهُ عنه من نَسلِ أيِّ الحَسَنينِ؟ وإنْ كان ذُرِّيَّةُ كلٍّ منهما موصوفٌ بنعتِ الحَسَنينَ[٥]، ويحتملُ أنَّ أباه حَسَنيٌّ وأمَّه حُسَينيَّةٌ[٦]، أو بالعكسِ.

والأَوَّلُ أَوْلَـى كمـا لا يَخْفَـى؛ بـل قال بعضُهم: إنَّ الحسـنَ رضـيَ اللهُ عنه لَمَّا تـركَ للهِ الخلافـةَ الصُّوريَّـةَ، عوَّضَـه اللهُ المرتبـةَ القُطْبيَّـةَ، وجعلَ من نسـلِه المهديَّ الـذي به خاتَـمُ الخلافـةِ النَّبويَّةِ.

ويؤيِّدُه ما أخرجَه أبو داودَ وغيرُه عن عليٍّ: أنَّه نظرَ إلى ابنِه الحسنِ فقال: إنَّ

---

(١) ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل كما قال ابن الجوزي.
قلت: فيه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري، قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٩): روى عن رواد ابن الجراح خبراً باطلاً أو منكراً في ذكر المهدي، ثم أورد له هذا الحديث.

(٢) هـو العَلاَّمـةُ، الحافـظُ، القاضـي، أبـو بَكْـرٍ مُحَمَّـدُ بنُ عبـدِ اللهِ بـنِ محمَّـدٍ، الأندلُسِـيُّ الإشـبيلِيُّ المالِكِيّ، صاحـبُ «التَّصانيـفِ»، مـن مشـايخه أبو حامـد الغزالي، وأبـو بكر الشاشـي وغيرهما، توفـي سـنة (٥٤٣هـ). انظـر: «سـير أعـلام النبـلاء» (٢٠/ ١٩٧).

(٣) يعني به الشيخ محمد بن علي بن محمد، الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، صاحب «الفصوص»، و«الفتوحات المكية»، توفي سنة (٦٣٨هـ). انظر: «الأعلام» (٦/ ٢٨١).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٠٨٦)، والحاكم (٨٦٧٢). قال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٤٦): في إسناده نظر. وسيكرر في أواخر هذه الرسالة.

(٥) في «و»: «الحسينين»، والمثبت من «د»، ووقع في «ج» طمس في هذا الموضع.

(٦) في «و»: «حسينيي»، والمثبت من «د»، ووقع في «ج» طمس في هذا الموضع.

ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاه النَّبيُّ ﷺ، وسيخرجُ رجلٌ من صُلبِه يُسمَّى باسم نبيِّكم؛ يُشْبِهُهُ في الخُلُقِ[١].

ويُقوِّيـه ما أخرجَـه نُعيمُ بنُ حمَّادٍ أحدُ شيـوخِ البخاريِّ، وتمَّـامٌ في «فوائده»، عـن عبـدِ اللهِ بـنِ عمـرو قـال: يخـرجُ رجلٌ مـن ولدِ الحسـنِ من قِبَـلِ المشـرقِ، لو اسـتُقبلَ به الجبالُ لهدَّمهـا واتَّخذَ فيهـا طُرُقاً[٢].

ولا يَبْعُدُ أن يكونَ لكلٍّ منهما هذه النِّسبةُ العَلِيَّةُ، بالشَّركةِ الجليَّة، كما يدلُّ عليه ما رواه الطَّبرانيُّ وأبو نُعيمٍ، عن عليٍّ الهلاليِّ[٣]: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لفاطمةَ: «والذي بَعَثَني بالحقِّ! إنَّ منهما ـ يعني: من الحسنِ والحسينِ ـ مهديَّ هذه الأُمَّةِ»[٤].

بل بزيادةِ بقيَّةِ الأنساب، المعتبرةِ في مرتبةِ[٥] الأحساب؛ لِمَا وردَ: «إنَّ المهديَّ من أولادِ العبَّاسِ عمِّي». كما رواه الدَّارَقُطنيُّ في «الأفرادِ» عن عليٍّ[٦].

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٩٠) من طريق أبي إسحاق عن علي رضيَ اللهُ عنه، وفيه علتان: الأولى إبهام شيخ أبي داود فيه، والثانية أن أبا إسحاق ـ وهو عمرو بن عبد الله السبيعي ـ رأى علياً رضيَ اللهُ عنه، ولم تثبت له رواية عنه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٩٥)، وتمام في «فوائده» (١١٤٧). قال الذهبي في «الميزان» ترجمة الحجاج بن الريان: هذا موقوف، وهو منكر.

(٣) في «د»: «العلاشي»، وفي «و»: «البلالي»، والمثبت من «ج»، وهو الصواب.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٦٦): فيه الهيثم بن حبيب، قال أبو حاتم: منكر الحديث، وهو متهم بهذا الحديث.

(٥) في «ج»: «رتبة».

(٦) رواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣١) من حديث عثمان رضيَ اللهُ عنه، وقال: تفرد به محمد بن الوليد، قال ابن عدي: كان يضع الحديث ويصله، ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون، قال: سمعت الحسين بن أبي معشر يقول: هو كذاب. ولم أجده من حديث علي، ولعل في نسبته إليه وهم من المؤلف رحمه الله، فقد أورده ابن طاهر في «أطراف الغرائب والأفراد» (١/ ١٦٥) من حديث عثمان رضيَ اللهُ عنه.

فهذا جمعٌ من متفرِّقاتِ فَهْمِي، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ، وبإتقانِ الأمورِ أحكمُ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «يخرجُ المهديُّ وعلى رأسِه مَلَكٌ يُنادي: إنَّ هذا المهديُّ، فاتَّبعوه». أخرجَه أبو نُعيمٍ وغيرُه عن ابنِ عمرَ[1].

وهذا يدلُّ على كمالِ عظمتِه، وجمالِ نُبْهَتِه، ورِفعةِ مرتبتِه، ومَزِيَّةِ منزلتِه.

ومنها: كما أخرجَه الطَّبرانيُّ في «الأوسطِ» من طريقِ عمرَ بنِ عليٍّ، عن عليٍّ ابنِ أبي طالبٍ: أنَّه قال للنَّبيِّ ﷺ: أَمِنَّا المهديُّ أم من غيرِنا يا رسولَ اللهِ!؟ قال: «بل منَّا؛ بنا يَختمُ اللهُ كما بنا فَتَحَ، وبنا يُستنقَذونَ من الشِّركِ، وبنا يُؤلِّفُ اللهُ بينَ قلوبِهم بعد عداوةِ الفتنةِ كما أَلَّفَ بينَ قلوبِهم بعد عداوةِ الشِّركِ»[2].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «يخرجُ رجلٌ من أهلِ بيتي يقولُ بسُنَّتي، يُنزلُ اللهُ له القَطرَ من السَّماءِ، وتُخرجُ الأرضُ له من بركاتِها، يملأُ الأرضَ منه قِسْطاً وعدلاً كما مُلئتْ جَوراً وظُلماً، يعملُ على هذه الأُمَّةِ سبعَ سنينَ، ويَنزلُ بيتَ المقدسِ». أخرجَه الطَّبرانيُّ في «الأوسطِ»، وأبو نُعيمٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ[3].

وفي روايةٍ لأبي نُعيمٍ: «ثم لا خيرَ في عيشِ الحياةِ بعد المهديِّ»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٩٣٧)، والخطيب في «تلخيص المتشابه» (١/ ٤١٧). وفي إسناده عبد الوهاب بن الضحاك، قال الذهبي في ترجمته في «الميزان» (٤/ ٤٣٢): كذبه أبو حاتم، وقال النسائي وغيره: متروك.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٧). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه عمرو بن جابر الحضرمي، وهو كذاب. ورواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٨٩) من طريق مكحول عن علي رضيَ اللهُ عنه، وهو منقطع، فإن مكحولاً لم يسمع من علي.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٧٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه من لم أعرفهم.

(٤) قطعة من حديث رواه أبو نعيم في «صفة المهدي» من حديث ابن مسعود، كما في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» ليوسف بن يحيى السلمي (ص ٢٤٤).

ومنها: ما أخرجَه الدَّارَقُطنيُّ في «سننه» عن محمَّدِ بنِ عليٍّ قال: إنَّ لمَهديِّنا آيتينِ لم تكونا منذ خُلقَ السَّماواتُ والأرضُ: ينكسفُ القمرُ لأوَّلِ ليلةٍ من رمضانَ، وتنكسفُ الشَّمسُ في النِّصفِ منه[١].

ومنها: ما أخرجَه أبو نُعيمٍ عن أبي أُمامةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ «بينكم وبين الرُّومِ أربعُ هُدَنٍ، يومُ الرَّابعةِ على يدِ رجلٍ من أهلِ هِرَقْلَ يدومُ سبعَ سنينَ»، فقال له رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! مَن إمامُ النَّاسِ يومئذٍ؟ قال: «المهديُّ من ولدي؛ ابنُ أربعينَ سنةً، كأنَّ وجهَه كوكبٌ دُرِّيٌّ، في خَدِّه الأيمنِ خَالٌ أسودُ، وعليه عَباءتانِ قَطْوَانِيَّتانِ، كأنَّه من رجالِ بني إسرائيلَ، يَستخرجُ الكنوزَ، ويفتحُ مدائنَ الشِّركِ»[٢].

ومنها: ما أخرجَه الرُّوْيانيُّ في «مسنَدِه» وأبو نُعيمٍ عن حُذيفةَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المهديُّ رجلٌ من ولدي؛ لونُه لونٌ عربيٌّ، وجِسمُه جِسمٌ إسرائيليٌّ، على خَدِّه الأيمنِ خَالٌ، كأنَّه كوكبٌ دُرِّيٌّ، يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئتْ جَوْراً، يرضى في خلافتِه أهلُ الأرضِ وأهلُ السَّماءِ والطَّيرُ في الجَوِّ[٣]»[٤].

وفي روايةٍ: «لا يُوقظُ نائماً، ولا يُهْرِيقُ دماً»[٥].

ومنها: ما أخرجَه نُعيمُ بنُ حمَّادٍ عن أبي جعفرٍ قال: يَظهرُ المهديُّ بمكَّةَ عند

---

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (١٧٩٥).

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٦٠٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٩): فيه عنبسة بن أبي صغيرة، وهو ضعيف. وقال الذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٠٣) في ترجمة عنبسة المذكور: «أتى عن الأوزاعي بخبر باطل». يريد هذا الحديث.

(٣) في «ج»: «الهواء». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في المصادر.

(٤) رواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٩)، وهو خبر باطل تقدمت منه قطعة في أول الكتاب.

(٥) قطعة من حديثين، الأول رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٩١) عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه، والثاني رواه نعيم أيضاً (١٠٤٠) عن أبي سعيد الخدري رضيَ اللهُ عنه.

العشاءِ معه رايةِ[1] رسولِ اللهِ ﷺ وقميصِه وسيفِه وعلاماتٍ ونورٍ وبيانٍ، فإذا صلَّى العشاءَ نادى بأعلى صوتِه يقول: أُذكِّرُكم اللهَ أيُّها النَّاسُ ومقامَكم بين يدي ربِّكم، فقد بَعَثَ الأنبياءَ وأنزلَ الكتبَ، وأَمَرَكم أن لا تُشركوا به شيئاً، وأن تُحافظوا على طاعتِه وطاعةِ رسولِه، وأنْ تُحْيُوا ما أحيا القرآنُ، وتُميتوا ما أماتَ، وتكونوا أعواناً على الهُدَى، ووزراءَ على التَّقوى، فإنَّ الدُّنيا قد دنا فَناؤُها وزوالُها، وأَذِنتْ بانصِرامٍ عن إقبالِها، فإنِّي أدعوكم إلى اللهِ تعالى وإلى رسولِه، والعملِ بكتابِه، وإماتةِ الباطلِ، وإحياءِ السُّنَّةِ. فيظهرُ في ثلاثِ مئةٍ وثلاثةَ عشرَ رجلاً عددِ أهلِ بَدرٍ، على غيرِ ميعادٍ، رهبانٌ باللَّيلِ، أُسْدٌ بالنَّهارِ، فيفتحُ اللهُ تعالى للمهديِّ أرضَ الحجازِ، ويُخرجُ مَن كان في السِّجنِ من بني هاشمٍ، وتنزلُ الرَّاياتُ السُّودُ الكوفةَ، فيُبعثُ بالبَيعَةِ إلى المهديِّ، ويَبعثُ المهديُّ جنودَه في الآفاقِ، ويُميتُ الجَورَ وأهلَه، وتستقيمُ له البُلدانُ، ويفتحُ اللهُ تعالى على يديهِ القُسْطَنْطِينيَّةَ[2].

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنه قال: إذا انقطعتْ التِّجاراتُ والطُّرُقُ، وكَثُرتْ الفتنُ، خرجَ سبعةُ نَفَرٍ علماءُ من أُفُقٍ شتَّى على غيرِ ميعادٍ، يُبايعُ لكلِّ رجلٍ منهم ثلاثُ مئةٍ وبِضعةَ عشرَ رجلاً، حتى يجتمعوا بمكَّةَ، فيلتقي السَّبعةُ فيقولُ بعضُهم لبعضٍ: ما جاءَ بكم؟ فيقولون: جِئنا في طلبِ هذا الرَّجلِ الذي يَنبغي أنْ تَهْدأَ على يَدَيْه هذه الفتنُ ويُفتحَ له القُسْطَنْطِينيَّةُ، قد عَرَفْناه باسمِه واسمِ أبيه وأُمِّه وجيشِه، فيتَّفقُ السَّبعةُ على ذلك، فيطلبونَه فيُصيبونَه بمكَّةَ، فيقولون له: أنت فلانُ ابنُ فلانٍ؟ فيقول: بل أنا رجلٌ من الأنصارِ، حتى يُفلِتَ منهم، فيَصِفونَه لأهلِ الخيرِ منه والمعرفةِ به، فيُقال: هو صاحبُكم الذي تطلبونَه وقد لحقَ بالمدينةِ، فيَطلبونَه بالمدينةِ فيُخالفُهم إلى مكَّةَ، فيَطلبونَه بمكَّةَ فيُصيبونَه، فيقولون له: أنت فلان ابنُ فلانٍ، وأُمُّك

(١) في «و»: «مع راية»، وفي «ج»: «معه رداء».

(٢) رواه أبو نعيم في «الفتن» (٩٩٩).

فلانةُ ابنةُ فلانٍ، وفيك آيةُ كذا وكذا، وقد أفلتَّ منَّا مرَّةً فمُدَّ يَدَكَ نُبايِعْك، فيقولُ: لستُ بصاحبِكم، حتى يفلِتَ منهم، فيطلبونَه بالمدينةِ فيُخالفُهم إلى مكَّةَ، فيُصيبونَه بمكَّةَ عند الرُّكنِ ويقولونَ له: إثْمُنا عليك ودماؤُنا في عنقِك إنْ لم تَمُدَّ يدكَ نبايعُك، هذا عسكرُ السُّفْيانيِّ قد تَوَجَّه في طَلَبِنا، عليهم رجلٌ مِن حَرَامٍ، فيجلسُ بين الرُّكنِ والمقامِ، فيمدُّ يدَه فيُبايَعُ[1] له، فيُلْقي اللهُ تعالى محبَّتَه في صدورِ النَّاسِ، فيسيرُ مع قومٍ أُسْدٍ بالنَّهارِ، رُهبانٌ باللَّيلِ[2].

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن أبي الطُّفَيلِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ وصفَ المهديَّ، فوصفَ ثِقلاً في لسانِه، وضربَ فخذَه اليسرى بيده اليمنى إذا أبطأَ عليه الكلامُ، اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمُ أبي[3].

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن عليٍّ عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «المهديُّ رجلٌ من عِتْرَتي، ويُقاتِلُ على سُنَّتي كما قاتلتُ أنا على الوحيِ»[4].

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن كعبٍ، قال: قادةُ المهديِّ خيرُ النَّاسِ، وأهلُ نُصرتِه وبيعتِه من أهلِ الكوفةِ واليمنِ وأبدالِ الشَّامِ، مقدِّمتُه جبريلُ، وساقَتُه ميكائيلُ، محبوبٌ في الخلائقِ، يُطفئُ اللهُ تعالى به الفتنةَ العمياءَ، وتأمنُ الأرضُ حتى إنَّ المرأةَ لَتَحُجُّ في خمسِ نسوةٍ ما معهنَّ رجلٌ، لا تتَّقي شيئاً إلَّا اللهَ، تُعطي الأرضُ نباتَها والسَّماءُ بركتَها[5].

---

(١) وقع سقط طويل في النسخة «د»، وسنشير إلى نهايته في مكانه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٠٠)، وهو موقوف، وفي إسناده ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٦٩)

(٤) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٩٢) من حديث عائشة رضيَ اللهُ عنها، وفي إسناده شيخ مبهم.

(٥) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٠) قال: «حدثنا الوليد عمن حدثه وقرأه عن كعب قال: قادة المهدي...». وهو خبر ضعيف للإبهام في بعض رواته.

ومنها: ما أخرجَه أيضاً عن كعبٍ قال: إنِّي أجدُ المهديَّ مكتوباً في أسفارِ الأنبياءِ: ما في عملِه ظلمٌ ولا عيبٌ(١).

ومنها: ما أخرجَه أيضاً من طريقِ ضَمْرَةَ، عن [ابن شَوْذَبٍ عن]، ابنِ سيرينَ: أنَّه ذكرَ فتنةً تكونُ، فقال: إذا كان ذلك فاجلسوا في بيوتِكم حتى تُسبَقوا(٢) على النَّاسِ بخيرٍ من أبي بكرٍ وعمرَ، قيل: يا أبا بكرٍ! خيرٌ من أبي بكرٍ وعمرَ؟ قال كان يفضَّلُ على بعضِ [الأنبياء](٣).

قال الحافظُ السُّيوطيُّ: وفي هذا ما فيه، وقد قال ابنُ أبي شَيبةَ في «مصنَّفِه» في بابِ المهديِّ: حدَّثنا أبو أسامةَ، عن عوفٍ، عن محمَّدِ بنِ سيرينَ، قال: يكونُ في هذه الأُمَّةِ خليفةٌ لا يُفضلُ عليه أبو بكرٍ ولا عمرُ(٤).

قال الحافظُ: وهذا إسنادٌ صحيحٌ، وهذا اللَّفظُ أخفُّ من الأوَّلِ.

قال: والأوجَهُ عندي: تأويلُ اللَّفظينِ على ما أُوِّلَ عليه حديثُ: «بل أجرُ(٥) خمسينَ منكم»(٦)؛ لشدَّةِ الفتنِ في زمانِ المهديِّ، وتمالُؤِ الرُّومِ بأسرِها عليه، ومحاصرةِ الدَّجَّالِ له، وليس المرادُ بهذا التَّفضيلَ الرَّاجعَ إلى زيادةِ الثَّوابِ والرِّفعةِ عندِ اللهِ تعالى؛ فالأحاديثُ الصِّحاحُ والإجماعُ على أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ أفضلُ الخلقِ بعد النَّبيِّينَ والمرسلينَ(٧).

---

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٤).

(٢) في «الفتن» و«الحاوي»: «تسمعوا».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٣٦)، وما بين معكوفتين منه، وهو ساقط من النسخ ومن «الحاوي» للسيوطي (٢/ ٧٣)، والنَّقل هنا عنه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٥٠).

(٥) تحرفت في «و» و«د» و«ج» إلى: «آخر».

(٦) قطعة من حديث رواه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) عن أبي ثعلبة الخشني رضيَ اللهُ عنه، قال الترمذي: حسن غريب.

(٧) انظر: «الحاوي للفتاوي» للسيوطي (٢/ ٧٣) رسالة: «العرف الوردي في أخبار المهدي».

أقول: ولا يَبْعُدُ أن يُتوقَّفَ في هذه المسألةِ؛ لعدمِ إجماعِ الأمَّةِ في خصوصِ هذه المادَّةِ المستقلَّةِ مع وُرودِ: «أُمَّتي كالمطرِ؛ لا يُدرَى أوَّلُه خيرٌ أم آخرُه»[(١)]، وفي قولِه سبحانَه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] إشارةٌ لطيفةٌ إلى رفعِ هذه الغُمَّةِ.

ومنها: ما أخرجَه ـ أيضاً ـ عن قيسِ بنِ جابرٍ الصَّدَفيِّ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «سيكونُ رجلٌ من أهلِ بيتي يملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئتْ جَوراً، ثم مِن بعدِه القَحطانيُّ، والذي نفسي بيدِه ما هو دونَه»[(٢)].

وأخرجَ أيضاً عن كعبٍ قال: يكونُ بعدَ المهديِّ خليفةٌ من أهلِ اليمنِ من قحطانَ أخو المهديِّ في دِينِه، يعملُ بعملِه، وهو الذي يَفتحُ مدينةَ الرُّومِ ويُصيبُ غنائمَها[(٣)].

ومنها: ما أخرجَه عن أَرْطَاةَ، قال: بلغَني أنَّ المهديَّ يعيشُ أربعينَ عاماً، ثم يموتُ على فراشِه، ثم يخرجُ رجلٌ من قحطانَ مثقوبُ الأُذنينِ على سِيرةِ المهديِّ، بقاؤُه عشرون سنةً، ثم يموتُ قتيلاً بالسِّلاحِ، [وهو آخِرُ أميرٍ مِن أمَّةِ محمَّدٍ]، ثم يخرجُ

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٩) من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه، وقال: حديث حسن، غريب من هذا الوجه.

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٤٦) ـ ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤) ـ عن الوليد بن مسلم، عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن النبي ﷺ. فهو على هذا مرسل. ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٥٥٤)، من طريق الأوزاعيِّ عن قيسِ بن جابرٍ الصَّدَفيِّ، عن أبيه، عن جَدِّهِ، عن النبي ﷺ. قال أبو نعيم: «هكذا رواه الأوزاعي عن قيس بن جابر عن أبيه عن جده، ورواه ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر عن أبيه عن جده عن النبي قال، نحوه... ولم يقل الوليد في رواية ابن لهيعة: عن أبيه عن جده، وذكره غيره». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩٠): «رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١١٩٠).

رجلٌ من أهلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ، مَهْديٌّ حَسَنُ السِّيرةِ، يغزو مدينةَ قَيصَرَ، ثم يخرجُ في زمانِه الدَّجَّالُ، وينزلُ في زمانِه عيسى ابنُ مريمَ عليهما السَّلامُ(١).

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «المهديُّ منَّا أهلَ البيتِ، يُصلحُه اللهُ في ليلةٍ». رواه أحمدُ وابنُ ماجه عن عليٍّ(٢).

فصدرُ الحديثِ مُجمَلُ ما فصَّلنا، ومَحْمَلُ ما فضَّلنا، وأمَّا ذيلُه من إصلاحِه في ليلةٍ، فيُشيرُ إلى أنَّه يُعطيه اللهُ المرتبةَ القُطبيَّةَ، والـمَنْقَبةَ الاجتهاديَّةَ الغَوثيَّةَ، بالجَذْبةِ الإلهيَّةِ الفَرْدانيَّةِ، وألوهيَّةِ(٣) الصَّمَدانيَّةِ، لا بكَسْبِه وجَهدِه من تعلُّمِه في مقامِ كَدِّه وجِدِّه، كما حصَّلَ هذه العنايةَ لجَدِّه على ما ذَكَرَه اللهُ سبحانَه، وعظَّمَ شأنَه وبرهانَه: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ أي: تفاصيلَه في هذا البابِ، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]؛ فالمهديُّ في زمانِه أفضلُ المهتدينَ(٤)، وأكملُ المجتهدينَ في أمورِ الدِّينِ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «المهديُّ منِّي، أجْلَى الجبهةِ، وأقنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جَوراً وظلماً، يملكُ سبعَ سنينَ». رواه أبو داودَ في «سننه»، والحاكمُ في «مستدركه»(٥).

---

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٢١٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨٤)، وابن ماجه (٤٠٨٥). ورواه أيضاً البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣١٧) وقال: في إسناده نظر.

(٣) في «د»: «والألوهية».

(٤) في «ج»: «المهديين».

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٥) واللفظ له، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٧٠). وجَوَّد إسناده ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٤٤)، وسيأتي كلامه في آخر الرسالة. ورواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٠ ـ ١٤٤٣) من طرق أربعة ثم قال: «أما طريق أبي داود فلا بأس به».

وقال المنذري: في إسناده عمران القطان، وهو أبو العوام عمران بن داود القطان البصري، استشهد =

فقولُه عليه السَّلامُ: «المهديُّ منِّي» شهادةٌ منه على أنَّه من ذُرِّيَّتِه وخاصَّةِ أُمَّتِه في عمومِ متابعتِه، ولذا قال عليه السَّلامُ: «مَن رَغِبَ عن سُنَّتي فليس منِّي»[1].

وقولُه: «أجلى الجبهةِ» - أي: واسعُ الجبينِ - إشارةٌ إلى حُسنِ صُورتِه وسِيرتِه، واستحسانِ عِشرتِه مع عَشيرتِه.

وقولُه: «أقنى الأنفِ»: إشارةٌ إلى جمالِ أَرْنَبتِه، وإيماءٌ إلى كمالِ أَنَفَتِه[2]، وإشعارٌ إلى مرتبةِ شجاعتِه، ومَزِيَّةِ سَخاوتِه، وعدمِ الالتفاتِ إلى أموالِ رعيَّتِه، وفَقْدِ الرِّضا بالتَّقليدِ في مقامِ معرفتِه؛ لأنَّ مِن المعلوم استبعادُ جميعِ الطَّوائفِ من أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ وطوائفِ المبتدعةِ - ولو كانوا من أهلِ الطَّاعةِ - أن يرضَوا بأنَّه يكونُ مقلِّداً مَثَلاً لمذهبِ العلماءِ الحنفيَّةِ، وتاركاً مذاهبَ البقيَّةِ بالكُلِّيَّةِ.

وقولُه عليه السَّلامُ: «يملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلِئتْ جَوراً وظلماً»: إشارةٌ إلى سَعةِ دولتِه ومملكتِه، وإلى ظهورِه في وقتِ شِدَّةِ حاجتِه.

وقوله: «يملكُ سبعَ سنينَ»؛ أي: قبلَ نزولِ عيسى عليه السَّلامُ؛ إذْ بعدَه تنتقلُ إليه الأحكامُ؛ سواءٌ يكونُ المهديُّ موجوداً في عالَمِ الحياةِ أو مفقوداً بالمماتِ؛ إذ لا شكَّ أنَّ عيسى بعد نزولِه لم يُفسخْ عنه خِلعَةُ النُّبوَّةِ، وإن كان يُنسخُ عنه عَباءُ الرِّسالةِ، فيُعلي أولاً آياتِ إعلامِه ورايات مقامِه في الحرمين الشَّريفينِ والمسجدينِ الـمُنِيفَيْنِ، ثم يتوجَّه إلى بيتِ المقدَّسِ والمَحَلِّ المنفَّسِ؛ عملاً بقولِه عليه السَّلامُ: «لا تُشدُّ الرِّحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ: مسجدِ الحرامِ، ومسجدي هذا، والمسجدِ الأقصى»[3]،

= به البخاري، ووثقه عفان بن مسلم، وأحسن عليه الثناء يحيى بن سعيد القطان، وضعفه يحيى بن معين والنسائي. انظر: «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٠٣).

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه.

(٢) في «ج»: «ألفته».

(٣) رواه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧)، من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه.

فرتَّب هذا التَّرتيبَ الأعلى، حيث يَبدأُ بمَهبِطِ بَدءِ وحي المصطفَى، ثم بدارِ الهجرةِ، ثم بالأرضِ[1] المباركةِ بواسطةِ قدومِ أصحابِ النُّبوَّةِ وأربابِ الرِّسالةِ، وفي جعلِ القضيَّةِ عكسَ ما يقتضيه العقلُ من تقديمِ الأقدميَّةِ إيماءٌ إلى قولِه عليه السَّلامُ: «نحن الآخِرُونَ السَّابقونَ»[2]؛ أي: الآخِرُونَ وجوداً في عالَمِ الحِسِّ والـمَبْنَى، والسَّابقونَ شُهوداً في مقامِ الأُنسِ والمعنى، كما يُشيرُ إليه قولُه عليه السَّلامُ: «أوَّلُ ما خلقَ اللهُ رُوحي»[3]، وفي روايةٍ: «نوري»[4]. وقولُه: «كنتُ نبيَّاً وآدمُ بين الرُّوحِ والجسدِ»[5].

ولقد أبعدَ الغزاليُّ في تفسيرِ هذا الحديثِ وتأويلِه، حيث قال: أي: كنتُ نبيَّاً في علمِ اللهِ؛ لأنَّه بهذا المعنى لا مَزِيَّةَ له عمَّا سواه من أربابِ الجاه؛ بل المعنى: أنَّه ﷺ كان نبيَّاً فيما بين الأرواحِ سابقاً، كما وقعَ رسولاً في عالَمِ الأشباحِ لاحقاً، فهو الأوَّلُ والآخِرُ والباطنُ والظَّاهرُ في النِّسبِ الإضافيَّةِ بالنِّسبةِ إلى صفاتِ الإلهيَّةِ؛ فإنَّها القديمةُ الأزليَّةُ بلا ابتداءٍ في الأوَّليَّةِ.

وأمَّا قولُه: مَن قال: جُملةُ الأرواحِ قديمةٌ؛ كما قال بعضُ الحكماء، أو: أرواحُ الكُمَّلِ قديمةٌ؛ كما صرَّحَ به بعضُ الصُّوفيَّةِ السُّفهاءُ، فكفرٌ صريحٌ ليس عنه تأويلٌ صحيحٌ عند أعلامِ العلماءِ.

---

(١) في «ج»: «بأرض».

(٢) قطعة من حديث رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥)، عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه.

(٣) لم أجده.

(٤) عزاه ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» (ص ٤٤) لعبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضيَ اللهُ عنهما قال: قلت: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي أخبرني عن أوَّل شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر! إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك محمد ﷺ من نوره...». ولم أجده مسنداً عند عبد الرزاق ولا عند غيره.

(٥) رواه الترمذي (٣٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه، وقال: حسن صحيح، غريب من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه.

والحاصلُ: أنَّ المهديَّ وأتباعَه وأصحابَه وأشياعَه يكونون في بيت المقدِسِ فارغَ البال، إذْ يظهرُ الأعورُ الدَّجَّال، ومعه خلقٌ كثيرٌ من ضُلَّالِ الرِّجال، فيُحاصِرُ المهديَّ في مكانِه، ويُضيِّقُ عليه بعد ارتفاعِ شأنِه في زمانِه، إذْ ينزلُ[1] عيسى ابنُ مريمَ عليهما السَّلامُ في المنارةِ الشَّرقيَّةِ في مسجدِ الشَّامِ، ويَتوجَّه إلى القدسِ لنُصرةِ أهلِ الإسلامِ، فيراه الدَّجَّالُ اللَّعينُ، وكادَ أن يذوبَ كذَوَبانِ الملحِ في الماءِ، ويصيرَ كالطِّينِ، فيُصيبُه بحَرْبَةٍ من عالَمِ اليقين، ويقتلُه فيكونَ من الغازِين[2]، ثم يَقتُلُ مَن لم يَدْخُلْ في الإسلامِ ولم يَصِرْ من الفائزين، ويرفعُ الجِزيةَ ولم يقبلْها مِن أحدٍ كما أخبرَ به سيِّدُ المرسلينَ، وهذا نسخٌ مُغيَّاً في هذه الأمَّةِ، ظهرَ على يدِ خاتَمِ أصفياءِ الأئمَّةِ، لا أنَّه نسخٌ من عندِه؛ فإنَّ دينَه منسوخٌ بأصلِه؛ كسائرِ أديانِ الأنبياءِ، ولذا قالَ عليه السَّلامُ: «لو كان موسى حيَّاً لَمَا وَسِعَه إلَّا اتِّباعي»[3]؛ أي: كما صارَ عيسى في آخرِ الأمرِ مِن أَتْباعي، وله المَزِيَّةُ على غيرِه من هذه الحيثيَّةِ، ولذا شُبِّهَ ﷺ بقلبِ عسكرِ المسلمينَ وجنودِ الموحِّدينَ، والأنبياءُ السَّابقةُ بمنزلةِ المقدِّمة، وعيسى في مرتبةِ الخاتمةِ اللَّاحقةِ المتمِّمة، وعلماءُ هذه الأمَّةِ بمنزلةِ جناحِ اليمين، وعلماءُ سائرِ الأممِ في مرتبةِ جناحِ اليسارِ، مرتبتُهم دون مرتبةِ الأوَّلِين.

ويؤيِّدُه ما وردَ صحيحَ المعنى، وإنْ كان موضوعَ المبنى: «علماءُ أمَّتي كأنبياءِ بني إسرائيلَ»[4]، ويُقوِّيه ما صحَّ من قولِه عليه السَّلامُ: «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ»[5]؛ فإنَّه لا ريبَ أنَّ إرثَ الوارثِ يكونُ على قَدْرِ مالِ الموروثِ.

---

(١) في «ج»: «نزل».

(٢) كذا وقعت في النسخ، ولعل الصواب: «من الغابرين».

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٣٨).

(٤) أورده الزركشي في «التذكرة في الأحاديث المشتهرة» (ص ١٦٦) وقال: لا يعرف له أصل. وأورده المؤلف في «المصنوع في معرفة الحديث الموضوع» (ص ١٢٣) وقال: لا أصل له، كما قال الدميري والزركشي والعسقلاني.

(٥) رواه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والإمام أحمد في «المسند» =

فلْنصرفِ[(١)] العَنَانَ إلى ما كنَّا في صَدَدِهِ من البيَان، وهو أنَّ عيسى عليه السَّلامُ بعد قتلِه اليهودَ والنَّصارى وسائرَ الكفَّارِ الذين لم يَدخُلوا في دِينِ الإسلامِ، حتى كان الحجرُ والشَّجرُ يُنادي بلسانٍ فَصيحٍ، وبيانٍ نَصيحٍ: يا نبيَّ الله! هذا يهوديٌّ مخفيٌّ عندي؛ فإمَّا أن يُسلمَ، وإمَّا أن يُقتَلَ[(٢)]، كما أشارَ إليه قولُه تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

فيدخلُ عيسى في مسجدِ القدسِ عند ظهورِ صُبحِ الأُنسِ، وقد أُقيمَ الإقامةُ، فيُشيرُ المهديُّ إليه، فيمتنعُ عليه، ويقول: قد أُقيمتْ لك هذه الإقامة، وأنت في هذا المسجدِ قائمٌ بوصفِ الإمامة، فيُصلِّي المهديُّ ويَقتدي به عيسى[(٣)]؛ تحقيقاً لمتابعةِ هذه الأُمَّةِ، ثم يكونُ إماماً في كلِّ الحالةِ.

وممَّا يؤيِّدُ هذه المقالةَ: قولُه عليه السَّلامُ: «منَّا الذي يصلِّي عيسى ابنُ مريمَ

= (٥/ ١٩٦) من حديث أبي الدرداء رضيَ اللهُ عنه.

(١) في «ج»: «فنصرف».

(٢) روى البخاري (٢٩٢٥ و٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢١)، من حديث ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما مرفوعاً: «تُقَاتِلُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِيَ أَحَدُهُمْ وَرَاءَ الحَجَرِ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللهِ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ». وروى مسلم (٢٩٢٢) نحوه من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه، لكن ليس في الحديثين تصريح بأن عيسى عليه السلام هو المخاطب بذلك، ولا بالتخيير بين الإسلام أو القتل. وكذلك ليس فيهما تصريح أن ذلك يكون في وقت نزول المسيح عليه السلام، لكن هذا ورد في حديث أبي أمامة عند ابن ماجه.

(٣) روى معناه مسلم (١٥٦) من حديث جابر رضيَ اللهُ عنه، ولفظه: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ على الحَقِّ ظَاهِرِينَ إلى يومِ القيامةِ» قال: «فَيَنْزِلُ عِيسَى بن مريمَ ﷺ فيقول أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لنا، فيقول: لا إِنَّ بَعْضَكُمْ على بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللهِ هذه الأُمَّةَ». وروى البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥/ ٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ».

خلفَه». رواه أبو نُعيمٍ في «كتابِ المهديِّ» عن أبي سعيدٍ[١]، وظاهرُه الإطلاقُ، إلَّا أنَّ تعليلَه يُفيدُ التَّقييد؛ كما لا يَخْفَى على أهلِ التَّوفيقِ والتَّأييد.

وأمَّا قولُه عليه السَّلامُ للعبَّاسِ: «يا عمَّ النَّبيِّ[٢]! إنَّ اللهَ ابتدأَ الإسلامَ بي، وسيختمُه بغلامٍ من ولدِك، وهو الذي يتقدَّمُ عيسى ابنَ مريمَ». رواه أبو نُعيمٍ في «الحِليةِ» عن أبي هُريرَةَ[٣]، فيحتملُ تقدُّمَه وجوداً، وتقدُّمَه في منصبِ الإمامةِ شُهوداً.

ويؤيِّدُه ما في روايةِ الدَّارَقُطنيِّ في «الأفرادِ»، والخطيبِ، وابنِ عساكرَ، عن عمَّارِ بنِ ياسرٍ، ولفظُه: «يا عبَّاسُ! إنَّ اللهَ ابتدأَ هذا الأمرَ بي، وسيختمُه بغلامٍ من ولدِك، يملؤُها عدلاً كما مُلئتْ جَوراً، وهو الذي يُصلِّي بعيسى عليه السَّلامُ»[٤]. انتهى.

---

(١) رواه أبو نعيم في «مناقب المهدي» كما في «عقد الدرر في أخبار المنتظر» (ص ٨٤)، وذكره ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٤٧) عن أبي نعيم بإسناده، ثم قال: «هذا إسناد لا تقوم به حجة». وانظر التعليق السابق، ففيه من الصحيحين ما يشهد لمعناه. وسيكرر الحديث في أواخر هذه الرسالة.

(٢) كلمة: «النبي» ليست في «ج».

(٣) الذي رواه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٥) عن أبي هريرة أنه قال: خرج رسولُ اللهِ ﷺ فَتَلَقَّاهُ العَبَّاسُ فقال: «أَلَا أُبَشِّرُكَ يا أبا الفَضْلِ؟»، قال: بَلَى يا رسولَ اللهِ، قال: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ افْتَتَحَ بِي هَذَا الأَمْرَ، وَبِذُرِّيَّتِكَ يَخْتِمُهُ». وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف. أما لفظ المؤلف فرواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٨) من حديث ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما، وهو خبر كذب كما قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٨٤).

(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١١٧)، ومن طريقه وطريق الدارقطني رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٥٠ ـ ٣٥١)، ومن طريق الخطيب رواه ابن الجوزي في «العلل» (١٤٣٧). قال ابن الجوزي: لا بأس بإسناده، وتعقبه الذهبي في «تلخيصه» فقال: بل هو باطل، فيه أحمد بن الحجاج بن الصلت وفيه جهالة وهو الآفة، وما رأيت لأحد فيه كلاما. انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ١١). وقال الذهبي في «الميزان» ترجمة أحمد بن الحجاج: والعجب أن الخطيب ذكره في «تاريخه» ولم يضعفه، وكأنه سكت عنه لانهتاك حاله.

وهـو صـادقٌ أنْ يوجدَ مـرَّةً أو مرَّات، والله سـبحانَه أعلمُ بحقيقـةِ الحالات، وإذا عَرَفْـتَ ذلـك، تَبيَّـنَ لـك ممَّـا قرَّرنـا هنالـك: أنَّ قـولَ ابـنِ عربـيٍّ فـي كتابِـه «الفُصـوصِ»، المملـوءِ مـن مخالفةِ النُّصـوصِ: إنِّي خاتَـمُ الأولياءِ، ويُستمدُّ منِّي خاتَـمُ الأنبيـاءِ، ويَسـتفيضُ منِّي سـائرُ الرُّسـلِ والأصفيـاءِ، باطلٌ مـن وجهينِ، كما أوضحتُـه فـي الرِّسـالةِ المعمولـةِ للـرَّدِّ علـى الوجوديَّـةِ القائلـةِ بالعينيَّـةِ، بالأدلَّـةِ القطعيَّةِ.

ومجملُه هنا: أنَّ دعواه أنَّه خاتَمُ الأولياءِ ظاهرُ البُطلانِ عند أعيانِ العلماءِ؛ لوجودِ عيسى عليه السَّلامُ، وشهودِ المهديِّ من أولياءِ الفِخامِ، وكذا وجودُ كثيرٍ من الأولياءِ في حياتِه ومماتِه من فُضلاء كرام، وهذا أمرٌ سهلٌ منه؛ فإنَّ غايتَه أنَّه كذبٌ محضٌ بالنِّسبةِ إلى دعواه الثَّانيةِ، فإنَّه كفرٌ صريح، ليسَ له تأويلٌ صحيح.

والعجبُ ممَّن لم يَعرفْ حقيقةَ إيمانِه وحُسْنَ خاتمتِه في شأنِه كيف يدَّعي مثلَ هذا من غيرِ برهانِه؟!

وأغربُ من هذا أنَّ بعضَ العلماءِ المعتبَرينَ، والفضلاءِ المتبحِّرينَ، ممَّن تَصَدَّى لشرحِ كلامِه، لم يتعرَّضْ لتصحيحِ مرامِه، وكأنَّه وافقَ مشربَه، وطابقَ مذهبَه.

ثم من الغريب ما وقعَ في هذا القريب: أنَّه سألَ بعضَ أكابرِ الفِخامِ، عمَّن يزعمُ أنَّه من علماءِ الأعلام[1]: هل ثبتَ أنَّ المهديَّ يُقلِّدُ أبا حنيفةَ؟ فقال: نَعَمْ، رأيتُ في كتابينِ، ومع هذا سَلْ بعضَ أصحابي، وخُلَّصِ أحبابي، فإنَّه رأى رؤيا تدلُّ على هذه المدَّعَى، وصورتُها: أنَّه رأى أوَّلاً ثلاثَ قُبَبٍ هيئتُها الصِّغارُ، ثم رأى قُبَّةً كبيرةً كثيرةَ الأنوارِ، غطَّى[2] نورُ هذه القُبَّةِ سائرَ القُبَبِ في إبصارِ الأبصارِ.

---

(١) في «و»: «الإسلام».

(٢) في «ج»: «عظم».

والحالُ أنَّ المشارَ إليه لرؤيةِ هذا المنامِ معروفٌ عند الأنامِ؛ لأنَّه لو أخبرَ يقظةً بشيءٍ، لم يُصدِّقْه أحدٌ في هذه الأيَّامِ، فكيف يكونُ رؤياه صادقةً صالحةً للاستدلالِ في هذا المقامِ؟! فإنَّها على تقديرِ ثبوتِها وصحَّتِها من أضغاثِ الأحلامِ وخيالاتِ الأوهامِ؛ كما يرى الهِرُّ إذا نامَ في خيالِ البَرِّ أنَّه يأكلُ اللَّحم أو يَمضَغُ الشَّحم.

وبهذا تبيَّنَ أنَّ الأمورَ الاعتقادياتِ لا يُتصوَّرُ ثبوتُها بالأمورِ الظَّنِّياتِ، فضلاً عن المقالاتِ الواهماتِ والمناماتِ الواهِيَاتِ، وقِسْ على هذا أقوالَ سائرِ الأنامِ في هذه الأيَّامِ.

فعليك بميزانِ الكتابِ والسُّنَّة، إن كنتَ من أهلِ المعرفةِ وقابِلِ المِنَّة، وتُريدُ أن تدخلَ الجَنَّة، ويكونَ معرفتُك السُّترَةَ من النَّارِ والجُنَّة، وتصيرَ محفوظاً من شَرِّ النَّاسِ والجِنَّةِ.

وقد وردَ عنه عليه السَّلامُ أنَّه قال: «يُوشِكُ أن يأتيَ على النَّاسِ زمانٌ لا يبقى من الإسلامِ إلَّا اسمُه، ولا يبقى من القرآنِ إلَّا رَسْمُه، مساجدُهم عامرةٌ وهي خَرابٌ من الهدى، علماؤُهم شرُّ مَن تحت أديمِ السَّماءِ، مِن عندِهم تخرجُ الفتنةُ، وفيهم تعودُ». رواه ابنُ عديٍّ والبَيهَقيُّ عن عليٍّ[1].

وقد قال ابنُ جريرٍ أحدُ الأخيارِ في «تهذيبِ الآثارِ»: حدَّثني أبو حُميدٍ الحمصيُّ أحمدُ بنُ المغيرةِ، حدَّثنا عثمانُ بنُ سعيدٍ، عن محمَّدِ بنِ مهاجرٍ، حدَّثني الزُّبيديُّ، عن الزُّهريِّ، عن عُروةَ، عن عائشةَ: أنَّها قالتْ: يا ويحَ لبيدٍ! حيث يقولُ:

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٢٧) عن علي رضيَ اللهُ عنه مرفوعاً وموقوفاً، ورواه البيهقي في «الشعب» (١٩٠٨) مرفوعاً، و(١٩٠٩) مرفوعاً وموقوفاً، وكلاهما من طريق عبد الله بن دكين، وروى ابن عدي عن ابن معين قال: عبد الله بن دكين ليس بشيء. وهو مع هذا منقطع كما قال البيهقي. ورواه البيهقي في «الشعب» (١٩١٠) من طريق آخر عن علي موقوفاً ثم قال: هذا موقوف، وإسناده إلى شَريكٍ [وهو ابن عبد الله النخعي] مجهول.

ذَهَبَ الَّذينَ يُعَاشُ في أكنَافِهِم وبَقِيْتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأَجرَبِ

قالت عائشةُ: فكيف لو أدركَ زمانَنا هذا؟! قال عُروةُ: رحمَ اللهُ عائشةَ، فكيف لو أدركتْ زمانَنا هذا؟! ثم قال الزُّهريُّ: رحمَ اللهُ عُروةَ، فكيفَ لو أدركَ زمانَنا هذا؟! ثم قال الزُّبَيديُّ: رحمَ اللهُ الزُّهريَّ، فكيف لو أدركَ زمانَنا هذا؟! وهكذا قال كلٌّ من رجالِ السَّندِ إلى آخرِه[1].

وأنا أقولُ: فكيف لو أدركَ كلُّ واحدٍ منهم ومَن بعدَهم زمانَنا هذا.

ومن هنا ما وردَ عن جعفرٍ الأحمرِ: سألتُ أبا حنيفةَ عن مسألةٍ، فأجابَ، فقلتُ: لا يزالُ هذا المِصرُ بخيرٍ ما أبقاكَ اللهُ تعالى، فقال رحمَه اللهُ تعالى:

خَلَتِ الدِّيارُ فسُدْتُ غيرَ مُسوَّدٍ ومِنَ الشَّقاءِ تَفَرُّدِي بالسُّؤْدَدِ

وعن أبي يوسفَ: أنَّ الإمامَ كان يُنشدُ هذا البيتَ كثيراً:

كَفَى حَزَناً أنْ لا حَيَاةَ هَنِيئَةٌ ولا عملٌ يَرْضَى بهِ اللهُ صَالحُ

انتهى.

وقد نُقلَ عن بعضِ السَّلفِ أنَّه قال: لقد حَلَّت العُزلةُ في زمانِنا. فقال الغزاليُّ: فإنْ حلَّتْ في زمانِه، لقد وجبتْ في زمانِنا. فنعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وأقرانِنا.

هذا، وبما حرَّرنا في قَلَمِ البيان، ممَّا قرَّرنا في عَلَمِ التِّبيان على وجهِ الإيقان، انكشفَ بطلانُ مذهبِ الطَّائفةِ الغَوِيَّةِ المسمَّاةِ بـ(المهدويَّةِ) في دعوتِهم أنَّ المهديَّ الموعودَ هو شيخُهم المشهودُ قبل ذلك، وأنَّه توفِّي بخُراسانَ ودُفنَ هنالك، ومن كمال تعصُّبهم وجهلِهم: يُكفِّرونَ أهلَ السُّنَّةِ في إنكارِهم المهديَّ شيخَهم، فكفَروا باتِّفاقِ العلماءِ كما أفتى فقهاءُ عصرِنا في مكَّةَ من الحنفيَّةِ والمالكيَّةِ والشَّافعيَّةِ والحنبليَّةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٢٠٤ ـ مسند عمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه).

وكذا تبيَّنَ بطلانُ مذهبِ الإماميَّةِ في قولِهم: إنَّ المهديَّ هو ولدُ العسكريِّ، وإنَّه لم يمتْ، وإنَّه إمامُ زمانِه وخليفةُ أوانِه، من غيرِ أن يأتوا ببرهانِه، أو يُطابقوا أحاديثَه عليه السَّلامُ في شانِه.

وقد صرَّحَ القُطْبُ الرَّبَّانيُّ الشَّيخُ علاءُ الدَّولةِ السِّمنانيُّ[1]: أنَّ المهديَّ هذا صارَ من الأبدالِ، وغابَ عن أعينِ الرِّجالِ، ثم صارَ قُطْباً وماتَ في تلك الحالِ، وتولَّى القُطبيَّةَ بعده أحدٌ من أربابِ الكمالِ.

فتعيَّنَ الآنَ أن نُوْرِدَ بقيَّةَ ما وردَ في حقِّ المهديِّ من الأخبارِ؛ ليتبيَّنَ حالُه لَدَى الأبرارِ والفجَّارِ، فنقول:

منها: قولُه عليه السَّلامُ: «أُبشِّركم بالمهديِّ، رجلٌ من قريشٍ، من عِتْرَتي، يخرجُ في أُمَّتي في اختلافٍ من النَّاسِ وزِلزَالٍ، فيملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلئتْ جَوراً وظلماً، ويَرْضَى عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الأرضِ، ويَقسمُ المالَ صِحاحَاً بالسَّويَّةِ، ويملأُ قلوبَ أمَّةِ محمَّدٍ غنًى، ويسعُهم عدلُه، حتى إنَّه يأمرُ منادياً فينادي: مَن له حاجةٌ إليَّ فلْيأتني، فما يأتيه إلَّا رجلٌ واحدٌ، فيسألُه فيقولُ: ائتِ السَّادنَ ـ أي: الخادمَ الخازنَ ـ حتى يُعطيَك، فيأتيه فيقولُ: أنا رسولُ المهديِّ إليكَ لتعطيَني مالاً، فيقولُ: احْثِ، فيَحْثِي فلا يستطيعُ أن يحملَه، فيُلقي منه حتى يكونَ قدْرَ ما يستطيعُ أنْ يحملَه، فيخرجُ به، فيندَمُ، فيقولُ: أنا كنتُ أجشعَ أمَّةِ محمَّدٍ نَفْساً ـ أي: أحرصَ ـ كلِّهم دُعيَ إلى هذا المالِ فتركَه غيري، فيردُّ عليه فيقولُ: إنَّا لا نقبلُ شيئاً أعطيناه، فيلبثُ في ذلك ستّاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسعَ سنينَ، ولا خيرَ في الحياةِ بعده». رواه

---

(١) أحمد بن محمد بن أحمد، ركن الدين، من علماء الصوفية، شافعيّ مولده بسمنان (بين الريّ والدامغان) ووفاته ببغداد، له مصنفات قيل: تزيد على ثلاث مئة، وكان كثير البر، من كتبه الباقية: «العروة لأهل الخلوة»، و «صفوة العروة» تناول فيه الآداب الشرعية وصيانة خلوات المتصوفة عن الشطحات والترهات المنسوبة إليهم، و «تحفة السالكين». توفي سنة (٧٣٦هـ). انظر: «الأعلام» (١/ ٢٢٣).

أحمدُ والباوَرْدِيُّ وأبو نُعيم والتِّرمِذِيُّ عن أبي سعيدٍ[1]، والشَّكُّ من الرَّاوي، فلا ينافي ما تقدَّمَ من الجزمِ بالسَّبعِ.

ولعلَّه يعيشُ إلى آخرِ زمانِ عيسى عليه السَّلامُ ليَصِحَّ قولُه: «ولا خيرَ في الحياةِ بعدَه»، وقد ثبتَ أنَّ زمنَ عيسى أيضاً سبعُ سنينَ، فكأنَّهما يجتمعانِ حياةً ومماتاً.

وأمَّا روايةُ موتِ عيسى بعد أربعينَ سنةً، فمحمولٌ على مجموعِ عمرِه؛ لأنَّه رُفعَ إلى السَّماءِ كَهْلاً وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ، فالسَّبعُ يكونُ تكملةَ الأربعينَ. واللهُ الموفِّقُ والمعينُ.

لكنْ جاءَ في روايةِ أحمدَ عن عائشةَ: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ ينزلُ ويقتلُ الدَّجَّالَ، ويمكُثُ في الأرضِ أربعينَ سنةً إماماً عدلاً، وحَكَماً مُقسِطاً[2].

وفي روايةِ الطَّبرانيِّ عن عبدِ اللهِ بنِ مُغفَّلٍ: «ثم ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ مُصدِّقاً بمحمَّدٍ على مِلَّتِه، إماماً مهديًّا وحَكَماً عدلاً، فيقتلُ الدَّجَّالَ»[3]، وهذا الحديثُ يدلُّ على إمامتِه وحكومتِه بعد المهديِّ، ويُؤيِّدُه ما رواه مسلمٌ عن أبي هُريرَةَ: «كيف أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ فيكم فأَمَّكم»[4].

وأمَّا ما في «الصَّحيحينِ»: «كيف أنتم إذا نزلَ ابنُ مريمَ وإمامُكم منكم»[5]؛

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧)، والترمذي (٢٢٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠١). ورواية الترمذي وأبي نعيم مختصرة. قال الترمذي: «حديث حسن». وفي رواية أحمد: العلاء بن بشير، قال عنه ابن المديني: مجهول، كما في «الميزان» (٣/ ١٠٧)، وذكر له الذهبي هذا الحديث.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧٥)، وصححه ابن حبان (٦٨٢٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٥٨٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف لا يضر.

(٤) رواه مسلم (١٥٥/ ٢٤٥).

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥/ ٢٤٤) من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه

فمعناه: أنَّ عيسى منكم وداخلٌ في أُمَّتي معكم، أو محمولٌ على ما تقدَّمَ[١]، والله أعلمُ.

وفي روايةِ ابنِ عساكرَ: «إنَّ الدَّجَّالَ يقتلُ من المسلمينَ ثُلثاً، ويهزِمُ ثُلثاً، ويُبقي ثُلثاً، ويَجُنُّ عليهم اللَّيلُ، فيقولُ بعضُ المؤمنينَ لبعضٍ: ما تنتظرونَ إلَّا أن تلحقوا بإخوانِكم في مرضاةِ ربِّكم، مَن كان عنده فضلُ طعامٍ فلْيَغْدُ به على أخيه، وصلُّوا حين ينفجرُ الفجرُ وعجِّلوا الصَّلاةَ، ثم أَقْبِلوا على عدوِّكم، فلمَّا قاموا يُصلُّونَ نزلَ عيسى ابنُ مريمَ أمامَهم، فصلَّى بهم..» الحديثَ[٢].

وفي روايةٍ لأحمدَ ومسلمٍ عن جابرٍ: «لا تزالُ طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتلونَ على الحقِّ، ظاهرينَ إلى يومِ القيامةِ، فينزلُ عيسى ابنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم: تعالَ صَلِّ لنا[٣]، فيقولُ: أَلَا إنَّ بعضَكم على بعضٍ أميرٌ؛ تكرمةَ اللهِ لهذه الأُمَّة»[٤]، وقد تقدَّمَ وجهُ الجمعِ بحيث انكشفَ الغُمَّة.

وأخرجَ ابنُ أبي شيبةَ في «مصنَّفِه»، عن ابنِ سيرينَ قال: المهديُّ من هذه الأُمَّةِ، وهو الذي يؤمُّ عيسى ابنَ مريمَ عليه السَّلامُ[٥].

يعني: أوَّلَ مرَّةٍ؛ لمَا أخرجَه ابنُ ماجه وابنُ خُزيمةَ والحاكمُ وأبو عَوَانةَ وأبو نُعيمٍ واللَّفظُ له، عن أبي أُمامةَ قال: خطبنا رسولُ اللهِ ﷺ، فذكرَ الدَّجَّالَ، فقالتْ أُمُّ شَريكٍ: فأين العربُ يا رسولَ اللهِ!؟ قال: «هم يومئذٍ قليلٌ، وجُملتُهم ببيتِ المقدسِ، وإمامُهم المهديُّ؛ رجلٌ صالحٌ، فبينما إمامُهم قد تقدَّمَ يُصلِّي بهم الصبحَ، إذْ نزلَ عيسى ابنُ

---

(١) انظر ما تقدم من الكلام في إمامة المهدي لعيسى عليه السلام.

(٢) قطعة من خبر رواه ابن منده في «الإيمان» (١٠٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٠٧)، من حديث حذيفة رضيَ اللهُ عنه.

(٣) في «ج»: «بنا».

(٤) رواه مسلم (١٥٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٤).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٤٩).

مريمَ الصُّبحَ، فرجعَ ذلك الإمامُ ينكصُ يمشي القَهْقَرى ليتقدَّمُ عيسى، فيضعُ عيسى يدَيه بين كتفَيهِ ثمَّ يقولُ له: تقدَّمْ؛ فإنَّها لك أُقيمتْ، فيُصلِّي بهم إمامُهم»[(١)].

وقد صحَّ: أنَّ عيسى عليه السَّلامُ يُدفنُ في حُجرةِ نبيِّنا ﷺ[(٢)]، على خلافِ أنَّه قبلَ الصِّدِّيقِ أو بعد الفاروقِ، فالأوَّلُ أقربُ إلى الأدبِ؛ لكونِه نبيّاً في الحَسَبِ؛ فالنَّبيَّانِ ثم الوليَّانِ، والثَّاني لتعظيمِ الشَّيخينِ أنسبُ؛ ليكونا مكتوفينِ بين النَّبيَّينِ، وكَفَى به لهما شرفاً وفضلاً وفخراً ونُبْلاً؛ إذْ ما اتَّفقَ نظيرُه لأحدٍ من الثَّقلينِ.

وأمَّا ما اخترعَه الشِّيعةُ من البِدْعةِ الشَّنيعة، وهو جعلُ تابوتِ آدمَ ونوحٍ عليهما السَّلامُ في مقبرةِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَه، فليس له وجهٌ وَجِيهٌ ولا تنبيهٌ نبيهٌ من وجهين:

أحدُهما: أنَّ قبرَ عليٍّ نفسَه غيرُ ثابتٍ في ذلك المقامِ، وإنَّما أقدمَ أحدٌ على

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) واللفظ له، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٠٨).

(٢) لم يرد في هذا خبر مرفوع عن النبي ﷺ يحتج به، فقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضيَ اللهُ عنه قال: مكتوبٌ في التَّوراةِ صِفَةُ مُحَمَّدٍ وصِفَةُ عيسى بن مَرْيَمَ يُدْفَنُ معه. قال: فقال أبو مَوْدُودٍ [أحدُ رُواته]: وقد بَقِيَ في البيتِ مَوْضِعُ قَبْرٍ. قال الترمذي: «هذا حديثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ». قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٦٢): «ويؤيده ما روي عن عائشة في حديث قال الحافظ: لا يثبت، أنها استأذنت النبي ﷺ إن عاشت بعده أن تدفن إلى جانبه، فقال لها: «وأنَّى لكِ بذلك وليس في ذلك الموضعِ إلا قبري وقبرُ أبي بكر وعمر وعيسى بن مريم». وفي «أخبار المدينة» من وجه ضعيف عن سعيد بن المسيب قال: إن قبور الثلاثة في صفة بيت عائشة، وهناك موضع قبر يدفن فيه عيسى عليه السلام». وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ٩٩): «وقد ورد في ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعاً: أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية، ولكن لا يصح إسناده». وروى ابن الجوزي في «العلل» (١٥٢٩) من حديث ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما: «ينزل عيسى ابن مريم إلى الأرض فيتزوج ويولد ويمكث خمساً وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري فأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر». قال ابن الجوزي: «هذا حديث لا يصح».

عِمَارَتِه بمجرَّدِ المنامِ؛ كما في قُبَّةِ أُمِّ المؤمنينَ خديجةَ الكبرى في صدرِ المُعلَّى من بلدِ اللهِ الحرامِ.

وثانيهما: أنَّه لم يَثبتْ تعيينُ قبرِ أحدٍ من الأنبياءِ غيرَ قبرِ نبيِّنا ﷺ وشرَّفَ وكرَّمَ، وما ذاكَ إلَّا لأنَّه شمسُ المناقبِ في الضُّحى، وغيرُه بمنزلةِ الكواكبِ في ليلةِ الدُّجَى، نَعَمْ قبرُ حضرةِ إبراهيمَ عليه الصَّلاةُ والتَّسليمُ ثابتٌ في تلكِ القريةِ، وأمَّا تعيينُ موضعِ قبرِه فمن الفِرْيةِ.

هـذا، ومـن الألغـازِ في مقـامِ الإيجازِ: أيُّ شـخصٍ من هـذه الأُمَّـةِ أفضلُ من الشَّـيخينِ عند أهلِ السُّـنَّةِ؟

فيُقالُ: عيسى عليه السَّلامُ من غيرِ الشَّكِّ والشُّبهةِ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «يكونُ اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهلِ المدينةِ هارباً إلى مكَّةَ، فيأتيه أهلُ مكَّةَ فيُخرجونَه وهو كارهٌ فيُبايعونَه بين الرُّكنِ والمقامِ، ويُبعثُ إليه بَعْثٌ من الشَّامِ، فيُخسفُ بهم بالبَيداءِ بين مكَّةَ والمدينةِ، فإذا رأى النَّاسُ ذلك، أتاه أبدالُ الشَّامِ وعصائبُ أهلِ العراقِ، فيُبايعونَه، ثم ينشأُ رجلٌ من قريشٍ أخوالُه كَلْبٌ، أي: بنو كَلبٍ؛ وهم قبيلةٌ عظيمةٌ، فيَبْعَثُ إليهم بَعْثاً فيَظهرونَ عليهم، وذلك بَعثُ كَلبٍ، والخيبةُ لمَن لم يشهدْ غنيمةَ كَلبٍ، فيَقسمُ المالَ، ويَعملُ في النَّاسِ بسُنَّةِ نبيِّهم، ويُلقي الإسلامُ بجِرَانِه إلى[1] الأرضِ، فيلبثُ سبعَ سنينَ ثم يُتوفَّى، ويُصلِّي عليه المسلمونَ». رواه أحمدُ وأبو داودَ والحاكمُ عن أُمِّ سَلَمةَ[2].

وفي قولِه: «يعملُ بسُنَّةِ نبيِّكم» إشارةٌ إلى أنَّه ليس بمقلِّدٍ لأحدٍ؛ كما هو مذهبُ

---

(١) في «د»: «في».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣١٦) (٢٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٢٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٢٨). وسيرد في أواخر الرسالة الكلام عليه.

المحدِّثينَ؛ بل إنَّما هو مجتهدٌ عاملٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ بحسب ما يظهرُ له من الضَّعفِ والقوَّةِ والصِّحَّةِ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خليفةٌ يقسمُ المالَ ولا يعُدُّه». رواه أحمدُ ومسلمٌ عن أبي سعيدٍ وجابرٍ[(١)].

وفي روايةٍ لأحمدَ ومسلمٍ عن جابرٍ: «يكونُ في آخرِ أُمَّتي خليفةٌ يَحْثِي المالَ حَثْياً، ولا يعُدُّه عدّاً»[(٢)].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «إذا رأيتم الرَّاياتِ السُّودَ قد جاءَتْ من قِبَلِ خُراسانَ فأتوها؛ فإنَّ فيها خليفةَ اللهِ المهديَّ». رواه أحمدُ في «مسندِه» عن ثوبانَ[(٣)].

وفي سوادِ الرَّايةِ إيماءٌ إلى أنَّه من العبَّاسيَّةِ، كما بُيِّنَ في محلِّه ما وردَ في فضلِه.

ثم مجيئُها من قِبَلِ خُراسانَ، وكونُه فيها، لا يُنافي ما تقدَّمَ من بَدءِ ظهورِه ممَّا بين الرُّكنينِ؛ فإنَّه إمَّا محمولٌ على إتيانِه إلى الحَرَمِ ثانياً، أو بالنِّسبةِ إلى غيرِهم، أو يكونُ حينئذٍ استقبلَهم ودخلَ معسكرَهم، والأوسطُ هو الأوسطُ، ويؤيِّدُه روايةُ أحمدَ والتِّرمذيِّ، عن أبي هُريرَةَ: «يخرجُ من خُراسانَ راياتٌ سودٌ، فلا يَردُّها شيءٌ حتى تُنصَبَ بإيلياءَ»[(٤)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٨)، ومسلم (٢٩١٤/ ٦٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨)، ومسلم (٢٩١٤/ ٦٨)، كلاهما من حديث أبي سعيد لا من حديث جابر.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧) (٢٢٣٨٧)، وانظر الكلام عليه في التعليق على «المسند»، ط الرسالة. وسيعاد في أواخر هذه الرسالة.

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦٥) (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩) وقال: «حديث غريب». وإسناده ضعيف جداً. انظر الكلام عليه في التعليق على «المسند».

وفي روايةِ الحاكمِ والدَّيلميِّ عن ثوبانَ: «فإذا رأيتُموه فبايِعوه ولو حَبْواً على الثَّلجِ، فإنَّه خليفةُ اللهِ المهديُّ»[1].

ويقوِّيه قولُه عليه السَّلامُ: «إنَّا أهلُ بيتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخرةَ على الدُّنيا، وإنَّ أهلَ بيتي سيلقَوْنَ من بعدي بلاءً وتشريداً وتطريداً، حتى يأتيَ قومٌ من قِبَلِ المشرقِ معهم راياتٌ سودٌ، فيَسألون الحقَّ فلا يُعطَوْنَه، فيُقاتِلونَ، فيُنصَرونَ، فيُعطَوْنَ ما سألوا، فلا يقبلونَه حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهلِ بيتي، يُواطئ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، فيملِكُ الأرضَ، فيملأُها قِسطاً وعدلاً كما ملؤوها جَوراً وظلماً، فمَن أدركَ ذلك منكم أو مِنْ أعقابِكم فلْيأتهم ولو حَبواً على الثَّلجِ؛ فإنَّها راياتُ هدًى». رواه الحاكمُ، عن ابنِ مسعودٍ[2].

وفي إطلاقِ (خليفةِ اللهِ) عليه دلالةٌ واضحةٌ على عُلوِّ شأنِه ورِفعةِ مكانِه، وهو أصرحُ في تعظيمِ أمرِه من قولِه تعالى في حقِّ آدمَ عند ذِكرِه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ومن قولِه سبحانَه: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآيةَ [ص: ٢٦].

والحاصلُ: أنَّ هذا مَنقَبةٌ عَليَّةٌ، ومرتبةٌ جَلِيَّةٌ، وربَّما يكونُ المهديُّ أفضلَ من الصِّدِّيقِ من هذه الحيثيَّةِ؛ فإنَّه يُقالُ له: خليفةُ رسولِ اللهِ، لا خليفةُ اللهِ، ولمَّا تولَّى عمرُ الخلافةَ، ولم يصدُقْ عليه أنَّه خليفةُ رسولِ اللهِ؛ لعدمِ صدقِه عليه في المعنى، ولو قيل: خليفةُ خليفةِ رسولِ اللهِ، لطالَ المبنَى= قالوا له: أميرَ المؤمنينَ، فهو أوَّلُ مَن لُقِّبَ به، كما أوضَحْتُه في «شرحِ الأربعينَ».

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٣٢)، والديلمي في «الفردوس» (٢/ ٣٢٣). ورواه أيضاً ابن ماجه (٤٠٨٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٣٤)، ورواه أيضاً ابن ماجه (٤٠٨٢). قال ابن القيم في «المنار المنيف» (ص ١٥٠): وفي إسناده يزيد بن أبي زياد وهو سيئ الحفظ اختلط في آخر عمره. وسيكرر في أواخر هذه الرسالة.

ومِمَّـا يُؤيِّـدُ ما أشـرنا إليـه: قولُه ﷺ: «لـن تَهلِـكَ أُمَّةٌ أنـا في أوَّلِها، وعيسـى ابـنُ مريـمَ فـي آخرِهـا، والمهديُّ من أهـلِ بيتي فـي أوسـطِها». رواه أبو نُعيـمٍ وابنُ عسـاكرَ عن ابنِ عبَّـاسٍ[١].

وأمَّا قولُه عليه السَّلامُ: «لا يزدادُ الأمرُ إلَّا شدَّةً، ولا الدُّنيا إلَّا إدباراً، ولا النَّاسُ إلَّا شُحّاً، ولا تقومُ السَّاعةُ إلَّا على شرارِ النَّاسِ، ولا مهديَّ إلَّا عيسى ابنُ مريمَ»[٢]. فالمرادُ بالمهديِّ معناه اللُّغويُّ، والتَّقديرُ: لا مهديَّ كاملاً معصوماً في ذلك الوقتِ إلَّا عيسى ابنُ مريمَ، واللهُ أعلمُ.

وقد أخرجَ نُعيمُ بنُ حمَّادٍ عن الوليدِ بن مسلمٍ، قال: سمعتُ رجلاً يُحدِّثُ قوماً فقال: المهديُّونَ ثلاثةٌ: مهديُّ الخيرِ: عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ، ومهديُّ الدَّمِ: وهو الذي تسكنُ عليه الدِّماءُ، ومهديُّ الدِّينِ: وهو عيسى، تَسلمُ أُمَّتُه في زمانِه[٣].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «لا تذهبُ الدُّنيا ولا تنقضي حتى يملكَ رجلٌ من أهلِ بيتي، يُواطئُ اسمُه اسمي»[٤].

وفي روايةٍ: «وخُلُقُه خُلُقي»[٥]، وهو يَحتَمِلُ الفتحَ والضَّمَّ، واللهُ أعلمُ.

والحديثُ رواه أحمدُ وأبو داودَ والتِّرمِذِيُّ عن ابنِ مسعودٍ[٦].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٤ـ٣٩٥).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٦٣)، وابن الجوزي في «العلل» (١٤٤٧) وقال: قال أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي: هذا حديث منكر. وسيأتي في أواخر هذه الرسالة تفصيل الكلام فيه.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٤٣).

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠)، والإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٧)، من حديث ابن مسعود رضيَ اللهُ عنه. قال الترمذي: حسن صحيح.

(٥) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨٢٥).

(٦) تقدم تخريجه.

وفي روايةٍ للتِّرمِذِيِّ بسندٍ صحيحٍ عنه، ولفظُه: «يَلِي رجلٌ من أهلِ بيتي، يُواطئُ اسمُه اسمي، ولو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ لَطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتَّى يَلِيَ»[١].

وفي روايةٍ: «اسمُه اسمُ أبي، واسمُ أبيه اسمُ أبي، فيملؤُها عدلاً وقِسطاً كما مُلئتْ جَوراً وظلماً، فلا تَمنعُ السَّماءُ شيئاً من قَطْرِها، ولا الأرضُ شيئاً من نباتِها مدَّةَ ما يمكثُ فيها»[٢].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «في ذي القَعْدَةِ تجاذبُ القبائلُ، وعامئذٍ يُنهبُ الحاجُّ، فتكونُ ملحمةٌ بمنًى، حتى يهربَ صاحبُهم، فيُبايَعُ بين الرُّكنِ والمقامِ وهو كارهٌ، فيُبايعُه مثلُ عِدَّةِ أهلِ بدرٍ، يرضَى عنه ساكنُ السَّماءِ وساكنُ الأرضِ». رواه الحاكمُ وغيرُه عن عمرِو بنِ شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه[٣].

ورواه أبو نُعيمٍ عن شَهرِ بنِ حَوشَبٍ مرسَلاً: أنَّه عليه السَّلامُ قال: «يكونُ في رمضانَ صوتٌ، وفي شَوَّالَ هَمْهَمَةٌ، وفي ذي القَعدةِ تتحاربُ القبائلُ، وفي ذي الحِجَّةِ يُنتهَبُ الحاجُّ، وفي المحرَّمِ يُنادِي منادٍ من السَّماءِ: ألَا إنَّ صفوةَ اللهِ من خلقه فلانٌ، فاسمعوا له وأطيعوا[٤]»[٥].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢٣١) وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٧٠)، ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٢٥٣)، وفي إسناده أبو هارون العبدي، قال الذهبي: أبو هارون واهٍ. ورواه البزار في «مسنده» (٣٣٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٢) من حديث قرة بن إياس رضيَ اللهُ عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٤): رواه البزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» من طريق داود بن المحبر بن قحذم عن أبيه، وكلاهما ضعيف.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٣٧)، وقال الذهبي: سنده ساقط.

(٤) زاد في «ق»: «وأطيعوه».

(٥) رواه الطبري في «تهذيب الآثار» (٦٨٩ ـ الجزء المفقود).

وعن قتادةَ قال: كان يُقالُ: إنَّ المهديَّ ابنُ أربعينَ سنةً. رواه ابنُ عساكرَ[1].

وعن عليٍّ قال: المهديُّ مولدُه بالمدينةِ، من أهلِ بيتِ النُّبوَّةِ، واسمُه اسمُ النَّبيِّ، ومُهاجَرُه بيتُ المقدسِ، كَثُّ اللِّحيةِ، أكحلُ العينينِ، برَّاقُ الثَّنايا، في وجهِه خَالٌ، في كتفِه علامةُ النَّبيِّ، يخرُجُ برايةِ النَّبيِّ ﷺ من مِرْطٍ مُعْلَمَةٍ سوداءَ مربَّعةٍ، فيها حَجَرٌ، لم تُنشرْ منذُ توفِّي رسولُ اللهِ ﷺ، ولا تُنشرُ حتى يخرجَ المهديُّ، يُمِدُّه اللهُ بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ يضربونَ وجوهَ مَن خالفَهم وأدبارَهم، يُبعثُ وهو ما بين الثَّلاثينَ إلى الأربعينَ. رواه نُعيمُ بنُ حمَّادٍ[2].

فتأمَّلْ في هذه الرِّوايةِ ممَّا يدلُّ على تعظيمِ المهديِّ من جهةِ الدِّرايةِ.

وعن عمرَ بنِ الخطَّابِ: أنَّه ودَّعَ البيتَ وقال: واللهِ ما أدري أَدَعُ خزائنَ البيتِ وما فيه من السِّلاحِ والمالِ، أم أقسمُه في سبيلِ اللهِ، فقال له عليُّ بنُ أبي طالبٍ: امضِ يا أميرَ المؤمنينَ فلستَ بصاحبِه، إنَّما صاحبُه منَّا شابٌّ من قريشٍ يقسمُه في سبيلِ اللهِ في آخرِ الزَّمانِ. رواه أبو نُعيمٍ[3].

وعن عليٍّ قال: لَيخرُجنَّ رجلٌ من ولدي عند اقترابِ السَّاعةِ حين تموتُ قلوبُ المؤمنينَ كما تموتُ الأبدانُ؛ لِمَا لَحِقهم من الشِّدَّةِ والضُّرِّ والجوعِ والقتلِ، وتواتُرِ الفتنِ والملاحِمِ العظامِ وإماتةِ السُّننِ وإحياءِ البِدَعِ وتركِ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المنكرِ، فيُحْيي اللهُ بالمهديِّ محمَّدِ بنِ عبدِ اللهِ السُّننَ التي قد أُميتتْ، ويَسُرُّ بعدلِه وبركتِه قلوبَ المؤمنينَ، وتتألَّفُ إليه عُصَبٌ من

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥/ ١٨٧)، ورواه أيضاً نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٦٧).

(٢) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٧٣)، وفي إسناده انقطاع.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٠٥٤)، وفي إسناده إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، وهو ضعيف كما في «التقريب».

العجمِ وقبائلُ من العربِ، فيَبْقَى على ذلك سنينَ ليستْ بالكثيرةِ دونَ العَشَرةِ ثمَّ يموتُ. رواه ابنُ المنادي في «الملاحمِ»[١].

وعن عليٍّ قال: وَيحاً للطَّالَقَانِ؛ فإنَّ للهِ فيها كنوزاً ليست من ذهبٍ ولا فضَّةٍ، ولكنْ بها رجالٌ عرفوا اللهَ حقَّ معرفتِه، وهم أنصارُ المهديِّ آخرَ الزَّمانِ. رواه أبو غَنْمٍ الكوفيُّ في كتابِ «الفتن»[٢].

قلتُ: وقد جاءَ أنَّ أكثرَ أنصارِ الدَّجَّالِ من أَصفَهانَ[٣]، وفيه تنبيهٌ على أنَّ أنصارَ المهديِّ أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأنصارَ الدَّجَّالِ أهلُ الكفرِ والبِدعةِ.

وعن عليٍّ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «يخرجُ رجلٌ ممَّا وراءَ النَّهرِ يُقالُ له الحارثُ، حَرَّاثٍ على مقدِّمته[٤] رجلٍ يُقالُ له: المنصورُ، يوطِّئُ أو يُمكِّنُ لآلِ محمَّدٍ كما مكَّنتْ قريشٌ لرسولِ اللهِ ﷺ، وَجَبَ على كلِّ مؤمنٍ نصرُه»، أو قالَ: «إجابتُه». رواه أبو داودَ[٥].

وفيه إشعارٌ إلى أنَّ أهلَ ما وراءَ النَّهرِ مُحِبُّونَ لأهلِ بيتِ النُّبوَّةِ، لا كما يزعمُ الرَّافضةُ أنَّهم الخارجيَّةُ، ولقد أحسنَ العلَّامةُ التُّورِبِشْتِيُّ في كتابه «المُعتمَدُ في المُعتقَدِ»: أنَّ اللهَ سبحانَه جعلَ أهلَ السُّنَّةِ على الطَّريقِ المستقيمِ والدِّينِ القويمِ، وأهلُ البدعِ انحرفوا عنه إلى يمينِ الطَّريقِ ويسارِها؛ لعدمِ التَّوفيقِ، وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ

---

(١) انظر: «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٨٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٨).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٤) من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه بلفظ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ».

(٤) في «و»: «مقدمة».

(٥) رواه أبو داود (٤٢٩٠)، وفي إسناده انقطاع.

﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣]؛ فالرَّوافضُ يُسمُّونَ أهلَ السُّنَّةِ بالخوارجِ، والخوارجُ يعتقدونَ فيهم أنَّهم الرَّوافضُ، ونحن بريئونَ بحمدِ اللهِ من الفريقينِ، لا مائلونَ إلى أحدِ الطَّريقينِ، ولا شكَّ أنَّ كلَّ واحدٍ يدَّعي أنَّه واقفٌ على الجادَّةِ، وقائمٌ إلى قِبلةِ السَّجَّادةِ، لكنَّه عليه السَّلامُ لمَّا قال: «ستفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً، كلُّهم في النَّارِ إلَّا واحدةً، قيلَ: ما هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[1]؛ فالفِرقةُ النَّاجيةُ هم أهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ الرَّاجيةِ.

ثم اعلمْ: أنَّ في حقِّ عيسى عليه السَّلامُ وردَ أيضاً أحاديثُ بنقلِ علماءِ الإسلامِ، فلْنُورِدْ بعضَها ليتمَّ الكلامُ في مَرامِ هذا المقامِ.

فمنها: قولُه عليه السَّلامُ: «إنَّ رُوحَ اللهِ عيسى نازلٌ فيكم، فإذا رأيتُموه فاعْرِفوه؛ فإنَّه رجلٌ مربوعٌ، إلى الحُمرةِ والبياضِ، عليه ثوبانِ ممصَّرانِ، كأنَّ رأسَه يقطُرُ وإن لم يُصِبْه بَلَلٌ، فيدُقُّ الصَّليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ[2] الجزيةَ، ويدعو النَّاسَ إلى الإسلامِ، فيُهلِكُ اللهُ في زمانِه المسيحَ الدَّجَّالَ، وتقعُ الأَمَنَةُ على أهلِ الأرضِ حتى تَرْعَى الأسودُ مع الإبلِ، والنُّمورُ مع البقرِ، والذِّئابُ مع الغنمِ، ويلعبَ الصِّبيانُ بالحيَّاتِ لا تضرُّهم، فيمكثُ أربعينَ سنةً، ثم يُتوفَّى، ويُصلِّي عليه المسلمون». رواه ابنُ عساكرَ عن أبي هُريرَةَ[3].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «الأنبياءُ إخوةٌ لعَلَّاتٍ؛ أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحدٌ، وإنِّي أولى النَّاسِ بعيسى ابنِ مريمَ؛ لأنَّه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ، وإنَّه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعْرِفوه؛ رجلٌ مربوعٌ، إلى الحُمرةِ والبياضِ، عليه ثوبانِ ممصَّرانِ، رأسُه يقطُرُ وإن

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه بلفظ: «... كُلُّها في النَّارِ إلا واحدةً وهي الجماعَةُ».

(٢) في «ج»: «ويرفع»، وفي هامش «و»: «الظاهر: ويرفع».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر ما بعده.

لم يُصبه بَلَلٌ، فيدقُّ الصَّليبَ، ويقتلُ الخنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ، ويدعو النَّاسَ إلى الإسلامِ، فتهلكُ في زمانِه المِلَلُ كلُّها إلَّا الإسلامَ، وترتعُ الأسودُ مع الإبلِ، والنِّمَارُ مع البقرِ، والذِّئابُ مع الغنم، ويلعبُ الصِّبيانُ بالحيَّات فلا تضرُّهم، فيمكثُ أربعينَ سنةً، ثم يُتوفَّى ويصلِّي عليه المسلمونَ». رواه أحمدُ وأبو داودَ عن أبي هُريرَةَ[١].

وقولُه: «فيمكثُ أربعينَ سنةً» يَحتمِلُ أن يكونَ بيانَ عمرِه جميعاً في وجهِ الأرضِ، أو مدَّةَ نزولِه من السَّماءِ بالطُّولِ والعرضِ.

وقولُه: «لم يَكُنْ بيني وبينه نبيٌّ» بإطلاقِه يردُّ على مَن قال بنبوَّةِ خالدٍ العَبسيِّ بينهما، ويَحتملُ أن يُقيَّدَ النَّفيُ بما بينهما فيما تأخَّرَ لا فيما تقدَّمَ، واللهُ أعلمُ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «إنِّي لأرجو إنْ طالَ بي عُمُرٌ أنْ ألقى عيسى ابنَ مريمَ، فإنْ عَجِلَ بي موتٌ، فمَن لَقِيهُ منكم فلْيُقْرِئه منِّي السَّلامَ». رواه مسلمٌ عن أبي هُريرَةَ[٢].

وفيه تنبيهٌ نبيهٌ على أنَّ الإيمانَ الإجماليَّ بنزولِ عيسى كافٍ في العقائدِ، وأنَّه ينبغي للمرءِ أن يتمنَّى رؤيةَ الأنبياءِ والأصفياءِ؛ لمَا يترتَّبُ عليها من الفوائدِ، ويتعيَّنُ على مَن أدركَ عيسى عليه السَّلامُ أن يُبلِّغَه سلامَ نبيِّنا عليه التَّحيَّةُ والإكرامُ.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «طُوبَى لعيشٍ بعد المسيحِ، يُؤذَنُ للسَّماءِ في القطْرِ، وللأرضِ في النَّباتِ، فلو بُذرتْ حبَّةٌ على الصَّفا لنبتتْ، ولا تباغُضَ ولا تحاسُدَ، حتى يمرَّ الرَّجلُ على الأسدِ فلا يَضرَّه، ويطأُ على الحيَّةِ فلا تضرَّه». رواه أبو نُعيمٍ عن أبي هُريرَةَ[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٦) (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤). وإسناده صحيح.

(٢) ليس عند مسلم، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٩٨ ـ ٩٩) عن أبي هريرة مرفوعاً وموقوفاً. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠٥): رواه أحمد مرفوعاً وموقوفاً ورجالهما رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو سعيد النقاش في «فوائد العراقيين» (٢٨).

وفيه دلالةٌ على أنَّ العيشَ الطَّيِّبَ إنَّما هو برفعِ التَّباغُضِ والتَّحاسُدِ، وأنَّه بكمالِه غيرُ حاصلٍ إلَّا في زمانِ عيسى عليه السَّلامُ، وكذا يكونُ في دارِ السَّلامِ لأهلِ الإسلامِ، كما في قولِ اللهِ الملِكِ العلَّامِ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]؛ ووردَ عن عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَه أنَّه قال: أرجو أن أكونَ أنا وطلحةُ والزُّبيرُ منهم[١].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ عند بابِ دمشقَ» ـ وفي روايةٍ: «شرقيَّ دمشقَ، عند المنارةِ البيضاءِ» ـ لستٍّ ساعاتٍ من النَّهارِ، في ثوبينِ ممشَّقينِ، كأنَّما يتحدَّرُ من رأسِه اللُّؤلؤُ». رواه تمَّامٌ وابنُ عساكرَ عن كَيسانَ[٢].

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «لَيهبِطنَّ عيسى ابنُ مريمَ حَكَماً وإماماً مُقْسِطاً، وليسلُكنَّ فَجّاً حاجّاً أو معتمراً، ولَيأتينَّ قبري حتى يُسلِّمَ عليَّ، ولأَرُدَّنَّ عليه». رواه ابنُ عساكرَ عن أبي هُريرَةَ[٣].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٨٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ٢٧٨) و(١٦/ ٤١٥) من حديث كيسان، ومن حديث ابنه نافع بن كيسان، قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ١٦٥) ترجمة كيسان: والصحيح: نافع بن كيسان عن النبي ﷺ فقط، ليس فيه ذكر كيسان، سمعت أبي يقول ذلك. وذكر في ترجمة نافع بن كيسان (٨/ ٤٥٧) الاختلاف على هذا الحديث. وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٤٩١): يختلف في هذا الحديث ويضطرب في إسناده. أما الرواية التي فيها نزوله شرقي دمشق عند المنارة البيضاء، فهذه قطعة من حديث رواه مسلم (٢٩٣٧) عن النواس بن سمعان في ذكر خبر الدجال، وفيه: «فبينما هو كذلكَ [أي: الدَّجَّال] إذْ بَعَثَ اللهُ المَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ».

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٤٩٣)، ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرك» (٤١٦٢)، وصححه.

وقولُـه: «لأَرُدَّنَّ عليـه»؛ أي: ظاهـراً، وإلَّا فهـو عليه السَّـلامُ يردُّ علـى كلِّ مَن يُسـلِّمُ عليـه باطناً؛ كمـا في حديثِ: «ما مـن أحدٍ يُسـلِّمُ علـيَّ إلَّا ردَّ اللهُ عليَّ روحي حتـى أردَّ عليه»[1].

فيُفيدُ الحديثُ الشَّريفُ تخصيصَ عيسى بهذا المنصبِ المُنيفِ، فمَن ادَّعى هذا المعنى المبنيَّ على كمالِ المَغنَى من غيرِه، ولو من العلماءِ أو المشايخِ الكُرماءِ، فعليه بالبيانِ وإتيانِ البرهانِ، وإلَّا فما أيسرَ الدَّعوى، وما أَعْسَرَ المعنى.

ومنها: قولُه عليه السَّلامُ: «خيرُ هذه الأُمَّةِ أوَّلُها وآخرُها؛ أوَّلُها فيهم رسولُ اللهِ، وآخرُها فيهم عيسى ابنُ مريمَ». رواه أبو نُعيمٍ في «الحليةِ»، عن عُروةَ بنِ رُويم[2].

ومنهـا: قولُـه عليـه السَّـلامُ: «عِصابتـانِ مـن أُمَّتـي أحرزَهمـا اللهُ مـن النَّـارِ: عِصابـةٌ تغـزو الهنـدَ، وعِصابـةٌ تكـونُ مـع عيسـى ابـنِ مريـمَ»[3].

ومنهـا: قولُـه عليه السَّـلامُ: «يخـرجُ الدَّجَّـالُ في أُمَّتـي فيمكثُ أربعينَ سـنةً، فيبعـثُ اللهُ تعالـى عيسـى ابنَ مريـمَ كأنَّه عُروةُ بـنُ مسـعودٍ الثَّقفيُّ، فيطلبُـه فيُهلكُه، ثـم يمكثُ النَّاسُ سـبعَ سـنينَ ليـس بين اثنينِ عـداوةٌ، ثم يُرسـلُ اللهُ رِيحاً بـاردةً من قِبَـلِ الشَّـامِ، فـلا يَبْقَى علـى وجـهِ الأرضِ أحدٌ فـي قلبِه مثقـالُ ذرَّةٍ مـن الإيمان إلَّا قبضَتْـهُ، حتـى لـو أنَّ أحدَكـم دخلَ في كَبِـدِ جبلٍ لدخلَـتْ عليه حتـى تَقبضَه، فيبقى شـرارُ النَّاسِ فـي خِفَّةِ الطَّيرِ وأحلامِ السِّباعِ، لا يعرفونَ معروفـاً ولا يُنكرونَ منكراً، فيتمثَّـلُ لهـم الشَّـيطانُ فيقـول: ألَا تسـتجيبونَ؟! فيقولـون: بـمَ تأمرُنـا؟ فيأمرُهـم

---

(١) رواه أبو داود (٢٠٤١).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٣)، وهو مرسل، وعروة بن رويم ـ كما في «التقريب» ـ صدوق كثير الإرسال.

(٣) رواه النسائي (٣١٧٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٨) (٢٢٣٩٦) وهو حديث حسن، وانظر الكلام عليه في التعليق على «المسند» ط الرسالة.

بعبادةِ الأوثانِ فيعبدونَها، وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم[1]، حسنٌ عيشُهم، ثم يُنفخُ في الصُّورِ فلا يَسمعُه أحدٌ إلَّا أصغى لِيتاً ورفعَ لِيتاً ـ وهو بكسرةِ اللَّام: صفحةُ العنقِ ـ وأوَّلُ مَن يسمعُه رجلٌ يَلُوطُ حوضَ إبلِه، فيُصعقُ ويُصعقُ النَّاسُ، ثم يُرسِلُ اللهُ مطراً كأنَّه الطَّلُّ، فيَنبتُ منه أجسادُ الذين ماتوا، ثم يُنفخُ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرونَ، ثم يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ! هَلُمُّوا إلى ربِّكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم يُقالُ: أخرجوا بَعْثَ النَّارِ، فيُقالُ: من كم؟ فيُقالُ: من كلِّ ألفٍ تسعَ مئةٍ وتسعةً وتسعينَ، فذلك ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢]». رواه أحمدُ ومسلمٌ عن ابنِ عمرَ[2].

فإن قلتَ: هل يكونُ عيسى عليه السَّلامُ مجتهِداً مطلقاً في القضايا والأحكامِ، أو يكونُ عاملاً بالوحي والإلهامِ؟

يَحتمِلُ الأمرينِ، وعلى التَّقديرينِ يكونُ أحكامُه قطعيَّةً لا ظنِّيَّةً؛ لأنَّ الأنبياءَ ولو وقعَ منهم الخطأُ، لم يستقرُّوا عليه؛ بل نُبِّهوا بالإنباء، واللهُ أعلمُ بحقائقِ الأشياءِ.

ثم اعلمْ: أنَّه وردَ في مسندِ حذيفةَ بنِ اليَمانِ: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! الدَّجَّالُ قبل عيسى ابنِ مريمَ؟ قال: «الدَّجَّالُ ثم عيسى ابنُ مريمَ، ثم لو أنَّ رجلاً أَنْتَجَ فرساً لم يركبْ مُهرَها حتى تقومَ السَّاعةُ»[3].

وقد تقدَّمَ أنَّ أوَّلَ الآياتِ ظهورُ المهديِّ، ثم الدَّجَّالُ، ثم عيسى، ثم خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ، وآخرُ الآياتِ طلوعُ الشَّمسِ من مغربِها، ثم تكونُ النَّفخةُ الأولى على شرارِ

---

(١) في «ج»: «وإن رزقهم».

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٦)، ومسلم (٢٩٤٠)، كلاهما من حديث ابن عمرو لا ابن عمر. وفيهما في مقدار لبث الدجال بدل: «فيمكث أربعين سنة»: «فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ ـ لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا أو أَرْبَعِينَ شَهْرًا أو أَرْبَعِينَ عَامًا ـ».

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٣١٠).

الخلقِ ممَّن لم يقلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، ثم تقعُ النَّفخةُ الثَّانيةُ، وبين النَّفختينِ أربعونَ سنةً كما ثبتَ عنه ﷺ[1]، ويقولُ الحقُّ فيها: لمَنِ الملكُ اليومَ؟ فيُجيبُ بذاتِه: للهِ الواحدِ القهَّار، وحيث لم يكنْ في الدَّارِ غيرُه دَيَّار، وكذا الآنَ في نظرِ أربابِ الشُّهودِ سوى اللهِ، واللهُ ما في الوجودِ، وهذا معنى قولِهم: كان اللهُ ولم يكنْ معه شيءٌ، والآنَ على ما عليه كانَ. وهذا يحتاجُ إلى بسطٍ في البيان، فصَرَفْنا عنه العِنان.

ورجعنا إلى معنى ما وردَ في بعضِ الرِّواياتِ: أنَّ عمرَ الدُّنيا سبعةُ آلافِ سنةٍ، وأنَّ نبيَّنا ﷺ بُعثَ في الألفِ السَّابعِ، ولهذا يُقالُ له: نبيُّ آخرِ الزَّمانِ، وقد تَعدَّى عن الألفِ ثلاثَ عشْرةَ سنةً في هذا الآوانِ، فلا بُدَّ أن يقعَ أشراطُ السَّاعةِ قبل تحقُّقِ القيامةِ، فيحتاجُ إلى إطالةِ المدَّة؛ تكملةً للعِدَةِ والعِدَّةِ.

والتَّحقيقُ ما ذكرَه شيخُ مشايخِنا الجلالُ السُّيوطيُّ رحمَه اللهُ في رسالتِه «الكشفُ في مجاوزةِ هذه الأُمَّةِ الألفَ»[2]، إلَّا أنَّه لا يتجاوزُ عن الخمسِ مئةٍ؛ ليصحَّ ما ثبتَ في

---

(١) لم يثبت ذلك عنه ﷺ، ولم يرد في هذا التعيين خبر يحتج به، فقد رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٧٢١) من طريق الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً. ورواه البيهقي في «الشعب» (٣٥٦) من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما موقوفاً. والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس. والصحيح في هذا عدم التعيين كما رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «ما بين النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ»، قالوا: يا أبا هُرَيْرَةَ! أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أَبَيْتُ. الحديث.

(٢) وهي ضمن «الحاوي للفتاوي» (٢/ ٨١)، وقد لخص الآلوسي رحمه الله في «روح المعاني» (٩/ ٥٢٣) كلامه في الرسالة المذكورة مع رده بقوله: «وأخرج الجلال السيوطي عدة أحاديث في أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وذكر أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة، واستدل على ذلك بأخبار وآثار ذكرها في رسالته المسماة بـ «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» وسمى بعضهم لذلك هذه الألف الثانية بالمخضرمة؛ لأن نصفها دنيا ونصفها الآخر أخرى، وإذا لم يظهر المهدي على رأس المئة التي نحن فيها ينهدم جميع ما بناه كما لا يخفى على =

الحديثِ، فإنَّه قد يُذكرُ العددُ ويُسقطُ كسرُه من المدَّةِ؛ كما وردَ في روايةٍ: «أنَّ عُمُرَه عليه السَّلامُ ستُّونَ سنةً»[1]، مع أنَّ الصَّحيحَ «ثلاثٌ وستُّونَ»[2] كما في روايةٍ، وأمَّا روايةُ «خمس وستِّينَ»[3]؛ فمحمولةٌ على اعتبارِ عامِ الولادةِ وسَنَةِ الوفاةِ.

فهمنا كذلك يتعيَّنُ أن يُحملَ على إسقاطِ الكسرِ، والكسرُ لا يكونُ أكثرَ من النِّصفِ؛ فإنَّه يلزمُ حينئذٍ أن يكونَ عُمُرُ الدُّنيا ثمانيةَ آلافٍ؛ إمَّا مع الكسرِ، أو الجبرِ[4].

= من راجعه، وكأني بك تراه منهدما».

قلت: وقد انقضت المئة التي كان فيها الآلوسي ومئة بعدها، ولم يظهر المهدي، فانهدم ما السيوطي بناه، والحمد لله على ما أولاه، إنه هو العليم الحكيم.

وقال الآلوسي أيضاً في رده على السيوطي: «وقد يَرِدُ عليه بأنه مضى من زمن البعثة إلى يومنا هذا ألف ومئتان وثمانٍ وستون سنة، وإذا ضم إليها ما ذكره من سني مكث عيسى عليه السلام وبقاء الدنيا بعد طلوع الشمس من مغربها وما بين النفختين وهي مئتا سنة، تصير ألفاً وأربع مئة وثمان وسبعين، فيبقى من المدة التي ذكرها اثنتان وعشرون، وإلى الآن لم تطلع الشمس من مغربها، ولا خرج الدجال الذي خروجه قبل طلوعها من مغربها بعدة سنين، ولا ظهر المهدي الذي ظهوره قبل الدجال بسبع سنين، ولا وقعت الأشراط التي قبل ظهور المهدي، ولا يكاد يقال: إنه يظهر بعد خمس عشرة سنة ويظهر الدجال بعدها بسبع سنين على رأس المئة الثالثة من الألف الثانية؛ لأن قبل ذلك مقدمات تكون في سنين كثيرة، فالحق أنه لا يعلم ما بقي من مدة الدنيا إلا الله عَزَّ وجَلَّ، وأنه ـ وإن طال ـ أقصر قصير، وما متاع الحياة الدنيا إلا قليل». انظر: «روح المعاني» (٢٥/ ١٦٠).

(١) رواه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧)، من حديث أنس رض الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٥٣٦)، ومسلم (٢٣٤٩)، من حديث عائشة رضيَ اللهُ عنها. ورواه البخاري (٣٩٠٣)، ومسلم (٢٣٥١)، من حديث ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما. ورواه مسلم (٢٣٤٨) من حديث أنس رضيَ اللهُ عنه. ورواه مسلم أيضاً (٢٣٥٢) من حديث معاوية رضيَ اللهُ عنه.

(٣) رواه مسلم (٢٣٥٣) من حديث ابن عباس رضيَ اللهُ عنهما.

(٤) وفي هذا الكلام والتعيين نظر، يظهر ذلك من قول مرعي بن يوسف الكرمي في «بهجة الناظرين وآيات المستدلين»: قد احتج كثير من العلماء على تعيين قرب زمانها بأحاديث لا تخلو عن نظر، فمنهم من قال: بقي منها كذا، ومنهم من قال: يخرج الدجال على رأس كذا، وتطلع الشمس على رأس كذا، وأفرد الحافظ السيوطي رسالة لذلك كله وقال: تقوم الساعة في نحو الألف والخمس =

وقد أخرجَ نُعيمُ بنُ حمَّادٍ عن أبي قَبِيلٍ، قال: اجتماعُ النَّاسِ على المهديِّ سنةَ أربعٍ ومئتينِ[(١)].

يعني: بعد الألفِ السَّابعِ[(٢)]، ويكونُ بقيَّةُ أشراطِ السَّاعةِ ينقضي قبلَ الخمسِ مئةٍ.

وكذا ما أخرجَه نُعيمٌ أيضاً عن جعفرٍ، قال: يقومُ المهديُّ سنةَ مئتينِ[(٣)].

هذا، وقال أبو الحسنِ محمَّدُ بنُ الحسينِ بنِ إبراهيمَ بنِ عاصمٍ السِّجْزِيُّ[(٤)]: قد تواترتِ الأخبارُ واستفاضتْ بكثرةِ رُواتِها عن سيِّدِ الأخيارِ وسندِ الأحبارِ، بمجيءِ المهديِّ المختارِ، وأنَّه من أهلِ بيتِه، وأنَّه سيملكُ سبعَ سنينَ، وأنَّه يملأُ الأرضَ عدلاً، وأنَّه يَخرجُ مع عيسى عليه السَّلامُ، فيساعدُه على قتلِ الدَّجَّالِ ببابِ لُدٍّ بأرضِ فلسطينَ، وأنَّه يؤمُّ هذه الأُمَّةَ، وعيسى يُصلِّي خلفَه، في طولٍ من قصَّتِه وأمرِه.

وهذا كلُّه باعتبارِ الإجمالِ في زمانِ السَّاعةِ، وما يترتَّبُ عليه من الأحوالِ، وإلَّا فقد قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾

= مئة، وكل ذلك مردود، وليس للمتكلمين في ذلك إلا ظن وحسبان، لا يقوم عليه من الوحي برهان. نقله عنه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٥/ ١٥٩).

(١) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٦٢) عن رشدين عن ابن لهيعة عن أبي قبيل به. ورشدين هو ابن سعد ضعيف، وابن لهيعة سيئ الحفظ، وأبو قبيل اسمه: حيي بن هانئ، قال عنه الحافظ في «التقريب»: «صدوق يهم». والخبر من قوله.

(٢) لم يرد التعيين بما بعد الألف السابعة في الخبر، بل قال ابن لهيعة عقبه: بحساب العجم ليس بحساب العرب.

(٣) رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٩٥٣).

(٤) ثم الآبُري ـ بالمد ثم الضم ـ مصنف كتاب «مناقب الإمام الشافعي»، منسوب إلى قرية آبر من عمل سجستان، ارتحل وسمع إمام الأئمة ابن خزيمة وغيره، توفي سنة (٣٦٣هـ). انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٠٠).

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَآ﴾ [النازعات: ٤٢ ـ ٤٤]، وفي آيةٍ[١] أخرى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وفي أخرى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وفي أخرى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وهي من[٢]: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمهنَّ إلَّا اللهُ» كما وردَ في حديثٍ[٣].

وفي حديثِ جبريلَ عليه السَّلامُ لمَّا سألَ النَّبيَّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ: «أخبرني عن السَّاعةِ، قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السَّائلِ، قال: فأخبرني عن أماراتِها...» الحديثَ[٤].

والحاصل: أنَّ ساعةَ القيامةِ بعينِها لا يعرفُها إلَّا اللهُ، ولا يطَّلعُ على حقيقتِها سواه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]؛ أي: أُخفي علاماتِها؛ لحكمةٍ[٥] في إخفاءِ حالاتِها، أو أَقْرُبُ أن أخفيَها فلا أقولُ: إنَّها آتيةٌ بما فيها، ولولا ما في الأخبارِ من اللُّطفِ والإعذارِ، لَمَا أخبرتُ بها واخترتُ الإسرارَ؛ لأنَّها من جملةِ الأسرارِ.

أو المعنى: أكادُ أخفيها عن نفْسي؛ كما قُرِئَ بها[٦]؛ أي: لو كان ممكناً إخفاؤُها.

وفي الجملةِ: أظهرَ اللهُ إتيانَها، وأَخْفَى زمانَها؛ لتُجْزَى كلُّ نفسٍ بما تسعَى قبلَ أوانِها؛ تعظيماً لشأنِها في إخفاءِ بيانِها.

---

(١) في «و» «ج»: «رواية»، وسقط هذا الموضع من «د»، والصواب: «آية» كما أثبت.

(٢) كلمة: «من» ليست في «ج».

(٣) رواه البخاري (١٠٣٩) و(٤٦٢٧) و(٤٦٩٧) من حديث ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما.

(٤) رواه بهذا اللفظ مسلم (٨) من حديث عمر رضيَ اللهُ عنه. ورواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه دون قوله: «فأخبرني عن أماراتها».

(٥) في «ج»: «الحكمة اقتضت».

(٦) هي قراءة عطاء كما في «تفسير السمرقندي» (٢/ ٣٩٢). وذكر ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص ٩٠) عن أُبيٍّ: «أكاد أخفيها من نفسي».

فنسألُ اللهَ حُسنَ الخاتمةِ في الحالةِ اللَّاحقة، وإن كان المدارُ على الأمورِ السَّابقة، والحمدُ للهِ على ما أسبغَ علينا من نِعَمِه الظَّاهرةِ والباطنة، وجَعَلَنا فيما بين الخَلْقِ من خيرِ الأممِ وأتباعِ النَّبيِّ المكرَّمِ والرَّسولِ المعظَّمِ، وأنعمَ علينا بموافقةِ مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعة، وإنْ كنَّا مقصِّرينَ في مقامِ الطَّاعة، فنرجو من كرمِه العميمِ ولُطفِه القديمِ أن يحفظَنا من الفضيحةِ والشَّناعة؛ كما قال القائلُ:

لَقَـدْ أَحْسَـنَ اللهُ فيمـا مَضَـى ... كذلـكَ يُحسِـنُ فيمـا بَقِـي

وهذا حسنُ ظنِّنا به، وهو أكرمُ الأكرمينَ، وأرحمُ الرَّاحمينَ.

فصلٌ في هذا الكلامِ، وَصْلٌ في مقامِ المَرامِ

وهو أنَّه عارَضَني في هذه القضيَّةِ مَن هو عارٍ عن الفضيلةِ بالكلِّيَّةِ؛ بل هو خالٍ عن إدراكِ علمِ الباطنِ والظَّاهرِ، وفي صورةِ الفَرخِ في سماءِ عَلْماءِ الطَّائرِ، وأبرزَ نقلاً ممَّا كُتبَ في قَفَاءِ الدَّفاترِ، الذي يُدرِكُ بطلانَه ذو العقلِ القاصرِ، والفهمِ الفاترِ، ومع هذا منقولٌ من كتابٍ هو مجهولٌ.

وقـد صـرَّحَ الإمامُ ابـنُ الهُمـامِ بأنَّه لا يجـوزُ نقلُ المسـائلِ الشَّـرعيَّةِ عن غيرِ الكتـبِ المتداوَلةِ، يسـتوي فيـه العلومُ الأصليَّـةُ والفرعيَّةُ.

ثم ألفاظُه ومَبَانيهِ مع ذلك في غايةٍ من الرَّكاكةِ الدَّالَّةِ على بطلانِ معانيهِ، وها أنا أَذْكرُ لك جميعَ ما فيه؛ لتُحيطَ علماً بما يوافقُه وما ينافيه، حيث قال ولم يخشَ ما عليه من الوَبالِ والمآلِ، من[1] غضبِ الملِكِ المتعالِ:

اعلمْ: أنَّ اللهَ تعالى قد خَصَّ أبا حنيفةَ رضيَ اللهُ تعالى عنه بالشَّريعةِ والكرامةِ؛ ومن كراماتِه: أنَّ الخَضِرَ عليه السَّلامُ كان يجيءُ إليه كلَّ يومٍ وقتَ الصُّبحِ، ويتعلَّمُ منه أحكامَ الشَّريعةِ إلى خمسِ سِنينَ، فلمَّا تُوفِّيَ أبو حنيفةَ، ناجَى الخَضِرُ ربَّه وقال:

---

(١) في «ج»: «في».

إلهي! إنْ كان لي عندك منزلةٌ فأذَنْ لأبي حنيفةَ حتى يُعلِّمَني من القبرِ على حَسَبِ عادتِه، حتى أعلمَ شرعَ محمَّدٍ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّم على الكمالِ؛ ليحصلَ[1] لي الطَّريقةُ والحقيقةُ، فنودي: أنْ اذهبْ إلى قبرِه وتعلَّمْ منه ما شئتَ، فجاءَ الخَضِرُ عليه السَّلامُ إليه، وتعلَّمَ منه ما شاءَ كذلك إلى خمسٍ وعشرينَ سنةً أخرى، حتى أتمَّ الدَّلائلَ والأقاويلَ، ثم ناجَى خَضِرٌ عليه السَّلامُ ربَّه وقال: إلهي! ماذا أصنعُ؟ فنودِي: أنْ اذهبْ إلى صفائِك واشتغلْ بالعبادةِ إلى أنْ يأتيَك أمري، إلى أن اذهبْ إلى البقعةِ الفلانيَّةِ[2] وعلِّمْ فلاناً عِلمَ الشَّريعةِ، ففعلَ خَضِرٌ عليه السَّلامُ ما أُمرَ.

ثم بعدَ المدَّةِ ظهرَ في مدينةِ ما وراءَ النَّهرِ شابٌّ، وكان اسمُه أبا القاسمِ القُشَيريُّ، وكان يخدِمُ لأمِّه ويحترمُها، ثم إنَّه قال وقتاً من الأوقاتِ لأُمِّه: يا أُمَّاه! قد حصلَ لي الحِرصُ على طلبِ العلمِ، وقد قال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهَه: مَن كان في طلبِ العلمِ كانت الجنَّةُ في طلبِه، فأْذَني لي حتى أذهبَ إلى بُخارى وأتعلَّمَ العلمَ، فتفكَّرتْ والدتُه وقالتْ: إنْ لم أُعطِه الإذنَ أكونُ مانعةً للخيرِ، وإنْ أَذِنتُ له لم أصبرْ على فِراقِه، فلم يكنْ لها بُدٌّ حتى أذنتْ له، فودَّعَ القُشَيريُّ والدتَه وعزمَ على السَّفرِ مع شابٍّ صاحبٍ له يطلبانِ العلمَ، فقعدتْ أُمُّه على البابِ باكيةً حزينةً وقالت: إلهي! اشْهَدْ أني حرَّمتُ على نفسي الطَّعامَ والشَّرابَ والمنزلَ، ولا أقومُ من مقامي حتى أرى ولدي، فمضى القُشيريُّ وصاحبُه حتى نزلا في منزلٍ ليأكلا فيه طعاماً، فقامَ القُشيريُّ ليقضيَ حاجتَه، فتلوَّثَ ثيابُه ببولِه، وقال لصاحبِه: اذهبْ أنت فإنِّي أُريدُ أنْ أرجعَ، فقالَ له صاحبُه: لِمَ ترجعُ؟ قال: لأنَّ هذا السَّفرَ ليس بمباركٍ لي، وقد أصابَ لثيابي النَّجاسةُ في أوَّلِ المنزلِ، وأخافُ أنْ تُصيبَ النَّجاسةُ لجسمِي في المنزلِ الثَّاني، وتُصيبَ روحي في الثَّالثِ، فقُعودِي عند والدتي أَوْلَى، ورجعَ إلى أمِّه، وكانت قاعدةً على مكانِها التي ودَّعتْ ابنَها، فقامتْ وتصافحتْ مع ولدِها وقالت: الحمدُ للهِ.

---

(١) في «ج»: «فيحصل».

(٢) في «و» و«د»: «الفلاني».

فأمرَ اللهُ تعالى الخَضِرَ عليه السَّلامُ: أنْ اذْهَبْ إلى القُشيريِّ وعلِّمْه ما تعلَّمتَ من أبي حنيفةَ؛ لأنَّه أرضى أمَّه، فجاءَ الخَضِرُ إلى أبي القاسمِ وقال: أنت أردْتَ السَّفرَ لأجلِ طلبِ العلمِ، وقد تركْتَه لرضا أمِّك، وقد أمرني اللهُ أن أجيءَ إليك كلَّ يومٍ على الدَّوامِ وأُعلِّمَك، فكلَّ يومٍ يجيءُ إليه الخَضِرُ عليه السَّلامُ حتى مضى ثلاثُ سنينَ، وعلَّمَه العلومَ الذي تعلَّمَ من أبي حنيفةَ في ثلاثينَ سنةٍ، حتى علَّمَه علمَ الحقائقِ والدَّقائقِ ودلائلَ العلمِ، وصارَ مشهورَ دهرِه وفريدَ عصرِه، حتى صنَّفَ ألفَ كتابٍ، وصارَ صاحبَ كرامةٍ، وكثُرَ مُريدوه وتلاميذُه.

فكانَ له مريدٌ كبيرٌ متديِّنٌ لا يُفارقُ الشَّيخَ، فعَدَّ له الشَّيخُ ألفَ كتابٍ من مصنَّفاتِه، ووضعَه في الصُّندوقِ، وأعطى لذلك المريدِ وقال: قد بدا لي أمرٌ، فاذهبْ وارمِ هذا الصُّندوقَ في نهرِ جَيحُونَ، فحملَ المريدُ الصُّندوقَ وخرجَ من عندِ الشَّيخِ وقال في نفسِه: كيف أَرْمي مصنَّفاتِ الشَّيخِ في الماءِ، لكنْ أذهبُ وأحفظُ الكتبَ وأقولُ للشَّيخِ رميتُها، وحفظَ الكُتبَ وجاءَ وقال للشَّيخِ: رميتُ الصُّندوقَ إلى الماءِ، قال الشَّيخُ: وما رأيتَ في تلك السَّاعةِ من العَلَامةِ؟ قال: ما رأيتُ شيئاً، قال الشَّيخُ: اذهبْ وارمِ الصُّندوقَ، فذهبَ المريدُ إلى الصُّندوقِ وأرادَ أن يرميَهُ فلم يهُنْ عليه، ورجعَ إلى الشَّيخِ مثلَ الأوَّل فقال: رميتَه؟ قال: نَعَمْ، قال: وما رأيتَ؟ قال: لم أرَ شيئاً، قال الشَّيخُ: وما رميتَه فاذهبْ وارمِه فإنَّ لي فيها سِرّاً مع اللهِ ولا تَرُدَّ أمري، فذهبَ المريدُ ورمى الصُّندوقَ، فخرجَ من الماءِ يَدٌ وأخذَ الصُّندوقَ، قال المريدُ له: مَن أنت؟ فنادى من الماءِ: إنِّي وُكِّلتُ لأنْ أحفظَ أمانةَ الشَّيخِ، فرجعَ المريدُ وجاءَ إلى الشَّيخِ، فقال الشَّيخُ: رميتَه؟ قال: نعم، قال: وما رأيتَ؟ قال: رأيتُ الماءَ قد انشقَّ وخرجَ منه يَدٌ وأخذَ الصُّندوقَ، وقد صرتُ متحيِّراً، وما السِّرُّ في ذلك؟ قال الشَّيخُ: السِّرُّ في ذلك أنَّه إذا قرُبتِ القيامةُ وخرجَ الدَّجَّالُ ونزلَ عيسى بيتَ المقدسِ، ويكونُ إمامُ المسجدِ رجلٌ صالحٌ من آلِ عليٍّ رضيَ اللهُ تعالى عنه، فيعلِّمُ عيسى عليه السَّلامُ

ويقولُ: قَدِّمْ إلى المحرابِ وصَلِّ بنا، فيقولُ عيسى عليه السَّلامُ: إنِّي جئتُ تابعاً لشرعِ محمَّدٍ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّم؛ بل أنتَ صَلِّ بنا، فيُصلِّي بهم، فإذا فرغَ من الصَّلاةِ يأمرُهم أن يركبوا ويقصدوا الدَّجَّالَ، فيقتلُه وينهزمُ عسكرُه، ويقتلُهم المسلمون، فإذا فرغوا من قتلِهم، فيضعُ عيسى عليه السَّلامُ الإنجيلَ بجنبِه ويقولُ: أينَ الكتبُ المحمَّديُّ؟ وقد أمرني اللهُ تعالى أنْ أحكمَ بينكم بكُتُبِه ولا أحكمَ بالإنجيلِ، فيطلبونَ الدُّنيا ويطوفونَ البلادَ، فلم يوجدْ كتابٌ من كتبِ الشَّرعِ المحمَّديِّ، فيتحيَّرُ عيسى عليه السَّلامُ ويقولُ: إلهي! بماذا أحكمُ بين عبادِك ولم يوجدْ كتابٌ غيرُ الإنجيلِ؟ فينزلُ جبريلُ عليه السَّلامُ ويقولُ: قد أمرَ اللهُ تعالى أنْ تذهبَ إلى نهرِ جَيحُونَ وتركعَ بجنبِه ركعتينِ وتُنادي: يا أمينَ صندوقِ أبي القاسمِ القُشَيريِّ سلِّمْ إليَّ الصُّندوقَ وأنا عيسى ابنُ مريمَ، وقد قتلتُ الدَّجَّالَ، فيذهبُ عيسى عليه السَّلامُ إلى جَيحُونَ ويُصلِّي ركعتينِ ويقولُ مثلَ ما أمرَه جبريلُ عليه السَّلامُ، فينشقُّ الماءُ ويخرجُ الصُّندوقُ، ويأخذُه ويفتحُه ويجدُ فيه خَتمَه وألفَ كتابٍ، فيحيا الشَّرعُ بذلك الكتبِ.

ثم سألَ عيسى عليه السَّلامُ جبريلَ: بمَ نالَ أبو القاسمِ هذه المرتبةَ؟ فقال: برِضاءِ والدتِه، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ، من كتابِ «أنيسِ الجُلساءِ»، انتهى.

ولا يَخفَى أنَّ هذا من كلامِ بعضِ المُلحدين، السَّاعي في فسادِ الدِّينِ؛ إذْ حاصلُه أنَّ الخَضِرَ الذي قال تعالى في حقِّه: ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، وقد تعلَّمَ موسى عليه السَّلامُ بعضَ العلومِ منه بما أُوتي حِلمَاً = من جُملةِ تلاميذِ أبي حنيفةِ، ثم عيسى عليه السَّلامُ يأخذُ أحكامَ الإسلامِ من تلميذِ تلميذِ أبي حنيفةَ في ذلك المقامِ، وما أسرعَ فهمَ التِّلميذِ حيث أخذَ عن الخَضِرِ في ثلاثِ سنينَ ما تعلَّمَه الخَضِرُ من أبي حنيفةَ حيَّاً وميتاً في ثلاثينَ سنةٍ.

وأعجبُ منه أنَّ أبا القاسمِ القُشَيريَّ ليس معدوداً في طبقاتِ الحنفيَّةِ، وإنَّما هو أحدُ أكابرِ الشَّافعيَّةِ.

ثم التَّعجُّبُ من الخَضِرِ أنَّه أدركَ النَّبيَّ عليه السَّلام، ولم يتعلَّمْ منه الإسلام، ولا من علماءِ الصَّحابةِ الكرام؛ كعليٍّ بابِ مدينةِ العلمِ وأقضى الصَّحابةِ، وزيدٍ أفرضِهم، وأُبيٍّ أقرأُ القُرَّاءِ[1]، ومعاذِ بنِ جبلٍ الأعلمِ بالحلالِ والحرام، ولا من التَّابعينَ العِظام؛ كالفقهاءِ السَّبعةِ وسعيدِ بنِ المسيَّبِ بالمدينةِ، وعطاءٍ بمكَّةَ، والحسنِ بالبصرةِ، ومكحولٍ بالشَّامِ، وقد رضيَ بجهلِه بالشَّريعةِ الحنيفيَّةِ حتى تعلَّمَ مسائِلَها بدلائِلِها في أواخرِ عُمرِ أبي حنيفةَ، فهذا ممَّا لا يَخْفَى بطلانُه على العقولِ السَّخيفةِ، والفُهُومِ الضَّعيفةِ؛ بل لو اطَّلعَ على هذه المقالةِ الرَّديَّةِ علماءُ الشَّافعيَّة، أو الحنابلةِ والمالكيَّة، أخذوها على وجهِ السُّخرية، وجعلوها وسيلةً في قِلَّةِ عقلِ الطَّائفةِ الحنفيَّةِ، حيث لم يعلموا أنَّ أحداً منهم لم يرضَ لهذه القضيَّةِ بالكلِّيَّةِ.

ثم لو تعرَّضْتُ لِـمَا في مَنقولِه من الخَطَاءِ في مبانيهِ ومعانيهِ الدَّالَّةِ على نقصانِ معقولِه، لصارَ كتاباً مستقلّاً في ردِّ محصولِه، إلَّا أنِّي أعرضتُ عنه صَفْحَاً؛ لقولِه تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وقد جمعتُ ما وردَ في الخَضِرِ، وسمَّيتُه بـ«كشفِ الحَذِرِ»، وبيَّنتُ فيه أنَّه النَّبيُّ على القولِ[2] الأكثرِ؛ بل وقيل: إنَّه مرسلٌ عند بعضِ أهلِ الأثر، فبطلَ قولُ القائلِ بل وكفَرَ فيما أظهر، لا سيَّما فيما أبرزَ بالنِّسبةِ إلى عيسى عليه السَّلامُ المُجمَعِ على نبوَّتِه سابقاً ولاحقاً، فمَن قال بسلبِ نبوَّتِه كفَرَ حقّاً كما صرَّحَ به السُّيوطيُّ؛ لأنَّ النَّبيَّ لا يذهبُ عنه وصفُ النُّبوَّةِ أبداً ولا بعد موتِه.

وأمَّا حديثُ: «لا وحيَ بعدي» فباطلٌ لا أصلَ له، نَعَمْ وردَ: «لا نبيَّ بعدي»[3]، ومعناه عند العلماءِ: أن لا يَحدثَ بعده نبيٌّ بشرْعٍ ينسخُ شرعَه.

---

(١) في «ج»: «أقرؤهم القرآن».

(٢) في «ج»: «قول».

(٣) رواه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢)، من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه.

فإنْ قلتَ: فكيف طريقُ عيسى عليه السَّلامُ في تنفيذِ الأحكامِ؟

فاعلمْ أنَّ العلماءَ أجمعوا على أنَّه يحكمُ بشرعِ نبيِّنا ﷺ، ومِن المقرَّرِ عند الفقهاءِ أنَّ المقلِّدَ لا يُقلِّدُ مجتهداً، فإذا كان المجتهدُ من آحادِ الأمَّة لا يُقلِّدُ، فكيف يُظَنُّ بالنَّبيِّ أنَّه يُقلِّدُ؟!

لا يُقالُ: تعيَّنَ حينئذٍ القولُ بأنَّه يحكمُ بالاجتهادِ.

فإنَّا نقولُ: لم يتعيَّنْ ذلك؛ فإنَّ نبيَّنا صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ كان يحكمُ بما أُنزلَ إليه في القرآنِ، ولا يُسمَّى ذلك اجتهاداً، كما لا يُسمَّى تقليداً، والدَّليلُ على ذلك: أنَّ العلماءَ حكَوا خلافاً[1] في جوازِ الاجتهادِ للنَّبيِّ ﷺ، فكان حكمُه بما يفهمُه من القرآنِ لو يُسمَّى اجتهاداً لم يتَّجهْ حكايةُ الخلافِ.

والحاصلُ: أنَّ نبيَّنا صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ كان مبيِّناً لِمَا في القرآنِ من مشكلاتِ الفرقانِ، كما يُشيرُ إليه قولُه تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فالظَّاهرُ أنَّه كان التَّبيينُ حاصلاً له من غيرِ تفكُّرٍ، بخلافِ غيرِه.

وجوَّزَ بعضُهم الاجتهادَ له حيث لا يُفهمُ معناه من القرآنِ ومبناهُ، لكنَّه بوحيٍ خفيٍّ، وهو إلهامٌ ربَّانيٌّ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ﴾ [النجم: ٣].

واختلفوا في جوازِ خطئِه في الاجتهادِ، مع الاتِّفاقِ أنَّه لا يَبْقَى ولا يُقَرُّ عليه؛ لمَا يترتَّبُ من الفسادِ في الاعتقادِ.

ثم اعلمْ: أنَّه جُوِّزَ أن يكونَ عملُ عيسى عليه السَّلامُ وفقَ علمِه اليقينيِّ في الأحكامِ، فقد ذكرَ الحافظُ الجلالُ السُّيوطيُّ: أنَّ جميعَ الأنبياءِ عليهم السَّلامُ قد كانوا

---

(١) في «ج»: «اختلافاً».

يعلمونَ في زمانِهم جميعَ شرائعِ مَن قبلَهم ومَن بعدهم بالوحي من اللهِ تعالى على لسانِ جبريلَ، وبالتَّنبيهِ على بعضِ ذلك في الكتابِ الذي أُنزلَ عليهم(1).

وحاصلُه: القطعُ بأنَّ اللهَ تعالى بيَّنَ لأنبيائِه جميعَ ما يتعلَّقُ بهذه الأمَّةِ من أحكامٍ واقعةٍ أو حادثةٍ، وأنَّ عِلْمَهم بطريقِ الوحيِ من اللهِ من غيرِ احتياجٍ إلى أنْ يأخذوه باجتهادٍ، فضلاً عن تقليدٍ.

فإنْ قلتَ: يَلزمُ عليه أنْ يكونَ كلُّ ما في القرآنِ مضمَّناً في جميعِ الكتبِ السَّابقةِ.

قلتُ: لا مانعَ من ذلك؛ بل دلَّتْ الأدلَّةُ على ثبوتِ هذه الملازَمةِ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٦].

وقد نصَّ على هذا بعينِه الإمامُ أبو حنيفةَ، حيث استَدَلَّ بهذه الآيةِ على جوازِ قراءةِ القرآنِ بغيرِ اللِّسانِ العربيِّ، وقال: إنَّ القرآنَ مُضمَّنٌ في الكتبِ السَّابقةِ، وهي بغيرِ اللِّسانِ العربيِّ.

وممَّا يشهدُ لذلك: وصفُه تعالى للقرآنِ في عدَّةِ مواضعَ بأنَّه مصدِّقٌ لمَا بين يديه من الكتبِ، فلولا أنَّ ما فيه موجودٌ فيها، لم يصحَّ هذا الوصفُ.

فإذا عَرَفْتَ ذلك، فيمكنُ أن يَنظرَ عيسى عليه السَّلامُ في القرآنِ فيَفهمَ منه جميعَ الأحكامِ المتعلِّقةِ بهذه الشَّريعةِ من غيرِ احتياجٍ إلى مراجعةٍ؛ كما فهمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ بفهمِه الذي اختصَّ به، ثم شرحَها لأمَّتِه في السُّنَّةِ، وأفهامُ الأمَّةِ تَقْصُرُ عن إدراكِ ما أدركَه النُّبوَّةُ؛ كما قال بعضُ أربابِ الحالِ رحمَه المتعالُ: جميعُ العلمِ في القرآنِ، لكنْ تقاصَرَ عنه أفهامُ الرِّجالِ.

وعيسى عليه السَّلامُ نبيٌّ، فلا يَبْعُدُ أن يَفهمَ من القرآنِ كفهمِ النَّبيِّ الجليلِ

---

(1) انظر: «الحاوي للفتاوى» (٢/ ١٤٨).

صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، ويَحكمَ به وإن خالفَ الإنجيلَ، ويُؤيِّدُه قولُ الشَّافعيِّ: جميعُ ما حكمَ به النَّبيُّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّم فهو ممَّا فَهِمَه من القرآنِ.

ويُقوِّيه: ما أخرجَه الطَّبرانيُّ في «الأوسطِ» من حديثِ عائشةَ: أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ قال: «إنِّي لا أُحلُّ إلَّا ما أحلَّ اللهُ في كتابِه، ولا أُحرِّمُ إلَّا ما حرَّمَ اللهُ تعالى في كتابِه»[1]، وقد قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

هذا، وقد صرَّحَ السُّبْكيُّ في تصنيفٍ له ما نصُّه: إنَّما يَحكمُ عيسى بشريعةِ نبيِّنا صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّم؛ بالقرآنِ والسُّنَّةِ.

وحينئذٍ فيترجَّحُ أنَّ أخذَه للسُّنَّةِ من النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ بطريقِ المشافهةِ من غيرِ الواسطةِ، أو بطريقِ الوحيِ والإلهامِ؛ تصحيحَ ما ثبتَ عنه عليه السَّلامُ في جميعِ الأحكامِ.

ورُويَ عن أبي هُريرَةَ: أنَّه لمَّا أكثرَ الحديثَ وأنكرَ عليه النَّاسُ، قال: لئنْ أُنزلَ عيسى ابنُ مريمَ قبلَ أن أموتَ، لأُحدِّثنَّه عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ فيُصدِّقني[2].

فقولُه: (يُصدِّقَني) دليلٌ على أنَّ عيسى عليه السَّلامُ عالمٌ بجميعِ سنَّةِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، من غير احتياجٍ إلى أن يأخذَها عن أحدٍ من الأمَّةِ، حتى إنَّ أبا هُريرَةَ الذي سمعَ من النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ احتاجَ إلى أن يلجأَ إليه، ليصدِّقَه فيما رواه ويُزكِّيه.

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٤١)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٩٢)، وفي إسناده علي ابن عاصم، قال ابن عدي: الضعف بيِّنٌ على حديثه. ورواه الشافعي في «الأم» (١/ ٨٠) من طريق عبيد بن عمير عن النبي ﷺ مرسلاً.

(٢) رواه عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٤٦).

فإنْ قلتَ: هل ثبتَ أنَّ عيسى عليه السَّلامُ بعد نزولِه يأتيه الوحيُ؟

فالجوابُ: نعم، روى مسلمٌ وغيرُه من حديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ، قال: ذكرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ الدَّجَّالَ، قال: «فبينما هم على ذلك، إذ بعثَ اللهُ المسيحَ ابنَ مريمَ، فينزلُ عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ، واضعاً يدَه على أجنحةِ ملَكينِ، فيتبعُه فيدركُه فيقتلُه عند بابِ لُدٍّ الشَّرقيِّ، فبينما هم كذلك، أوحى اللهُ تعالى إلى عيسى ابنِ مريمِ: أنِّي قد أخرجتُ عباداً من عبادِي لا يدانِ لك بقتالِهم، فحَرِّزْ عبادي إلى الطُّورِ، فيبعثُ اللهُ يأجوجَ ومأجوجَ»... الحديث[1].

ثم الظَّاهرُ أنَّ الجائيَ إليه بالوحيِ هو جبريلُ؛ بل هو الذي يُقطعُ به ولا يُترَدَّدُ فيه؛ لأنَّ ذلك وظيفتُه، وهو السَّفيرُ بينَ اللهِ تعالى وبين أنبيائِه، لا يُعرفُ ذلك لغيرِه من الملائكةِ.

وقد أخرجَ أبو حاتمٍ في «تفسيرِه»: وُكِّلَ جبريلُ بالكتبِ وبالوحيِ إلى الأنبياءِ[2].

وأمَّا ما اشْتَهَرَ على ألسنةِ العامَّةِ: أنَّ جبريلَ لا ينزلُ إلى الأرضِ بعد موتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، فلا أصلَ له، وممَّا يدلُّ على بطلانِه:

ما أخرجَه الطَّبرانيُّ في «الكبيرِ» عن ميمونَةَ بنتِ سعدٍ، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! هل يرقدُ الجُنبُ؟ قال: «ما أُحِبُّ أن يرقدَ حتى يتوضَّأَ؛ فإنِّي أخافُ أن يُتوفَّى فلا يحضرَه جبريلُ»[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) قطعة من خبر رواه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن سابط قوله. انظر: «الإتقان» للسيوطي (١/ ١٢٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ٣٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٧٥): رواه الطبراني في الكبير وفيه عثمان بن عبدالرحمن عن عبد الحميد بن يزيد، وعثمان بن عبدالرحمن هو الحراني الطرائفي، وثقه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: صدوق، وقال أبو عروبة الحراني وابن عدي: لا بأس به، يروي عن مجهولين، وقال البخاري وأبو أحمد الحاكم: يروي عن قوم ضعاف، =

فهـذا الحديـثُ يـدلُّ علـى أنَّ جبريلَ ينـزلُ إلـى الأرضِ، ويَحضرُ مـوتَ كلِّ مؤمـنٍ حضـرَه المـوتُ وهو على طهـارةٍ.

وقـد قـال الضَّحَّـاكُ فـي قولِـه تعالـى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ [القـدر: ٤]: الـرُّوحُ هنا: جبريلُ[١]، وإنَّه ينـزلُ هو والملائكةُ في ليلةِ القدرِ ويُسـلِّمونَ علـى المسـلمينَ، وذلك في كلِّ سـنةٍ.

وأخرجَ نُعيمُ[٢] بنُ حمَّادٍ في «كتاب الفتنِ» والطَّبرانيُّ عن ابنِ مسعودٍ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ في وصفِ الدَّجَّالِ، قال: «فيمرُّ بمكَّةَ، فإذا هو بخَلْقٍ عظيمٍ، فيقولُ: من أنتَ؟ فيقولُ: أنا ميكائيلُ، بَعَثَني اللهُ لأَمْنعَه مِن حَرَمِه، ويمرُّ بالمدينةِ، فإذا هو بخَلْقٍ عظيمٍ، فيقولُ: أنا جبريلُ، بَعَثَني اللهُ لأمنعَه مِن حَرَمِه»[٣].

ثم وقفتُ على سؤالٍ رُفعَ إلى شيخِ الإسلامِ ابنِ حجرٍ العسقلانيِّ، صورتُه: ما قولُكم في قولِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ: «ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ في آخرِ الزَّمانِ حَكَماً»[٤]، فهل نزلَ عيسى عليه السَّلامُ حافظاً لكتابِ اللهِ القرآنِ العظيمِ، ولسنَّةِ نبيِّنا الكريمِ، أو يتلقَّى الكتابَ والسُّنَّةَ عن علماءِ ذلك الزَّمانِ، ويجتهدُ فيها؟

فأجابَ بما نصُّه: لم يُنقلْ في ذلك شيءٌ صريحٌ، والذي يليقُ بمقامِ عيسى عليه السَّلامُ أنَّه يتلقَّى ذلك عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، فيحكمُ في أمَّتِه كما تلقَّاه عنه؛ لأنَّه في الحقيقةِ خليفةٌ عنه، واللهُ أعلمُ.

= وقال أبو حاتم: يشبه بَقيَّةَ في روايته عن الضعفاء.

(١) رواه ابن المنذر في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٦٩).

(٢) في النسخ: «أبو نعيم»، والصواب المثبت.

(٣) قطعة من خبر طويل رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٥٢٧)، ومن طريقه الطبراني كما ذكر ابن كثير في «النهاية في الملاحم والفتن» (١/ ٩٢)، وقال: خبر عجيب ونبأ غريب.

(٤) تقدم من حديث عدد من الصحابة.

وقد سُئلَ ابنُ القَيِّمِ الجوزيَّةِ[1] عن حديثٍ: «لا مهديَّ إلَّا عيسى ابنُ مريمَ» فكيف يأتلِفُ هذا مع أحاديثِ المهديِّ وخروجِه؟ وما وجهُ الجمعِ بينهما؟ وهل صحَّ في المهديِّ حديثٌ أم لا؟

فقال: أمَّا حديثُ: «لا مهديَّ إلَّا عيسى ابنُ مريمَ»، فرواه ابنُ ماجه في «سننه»، عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلى، عن الشَّافعيِّ، عن محمَّدِ بنِ خالدٍ الجَنَديِّ، عن أبانِ بنِ صالحٍ، عن الحسنِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ[2].

وهو ممَّا تفرَّدَ به محمَّدُ بنُ خالدٍ، قال محمَّدُ بنُ الحسينِ الإِسْنَويُّ[3] في كتابِه «مناقب الشَّافعي»: محمَّدُ بنُ خالدٍ هذا غيرُ معروفٍ عند أهلِ الصِّناعةِ من أهلِ العلمِ والنَّقلِ، وقد تواترتِ الأخبارُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ بذكرِ المهديِّ، وأنَّه من أهلِ بيتِه.

وقال البَيهَقيُّ: تفرَّدَ به محمَّدُ بنُ خالدٍ هذا. وقد قالَ الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ: هو مجهولٌ، وقد اختُلف عليه في إسنادِه؛ فرُوِيَ عنه عن أبان بنِ أبي عَيَّاشٍ عن الحسنِ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ.

قال: فرجعَ الحديثُ إلى روايةِ محمَّدِ بنِ خالدٍ وهو مجهولٌ، عن أبانَ بنِ أبي عَيَّاشٍ وهو متروكٌ، عن الحسنِ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، وهو منقطعٌ، والأحاديثُ في التَّنصيصِ على خروجِ المهديِّ أصحُّ إسناداً[4].

---

(١) قوله: «ابن القيم الجوزية»، كذا في النسخ، ولعل الصواب أن يقال: «ابن قيم الجوزية»، أو: «ابن القيم» دون كلمة «الجوزية».

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٣٩)، وقد تقدم.

(٣) قوله: «الإسنوي»، كذا في النسخ، والذي في «المنار المنيف» لابن القيم ـ والكلام منه ـ: «الآبري»، وهو الصواب، وقد تقدمت ترجمته قريباً.

(٤) قاله البيهقي في «البعث والنشور» كما في «تفسير القرطبي» (١٠/ ١٨٠)، وليس في المطبوع منه. وقد رواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٥١٨)، كما ذكره عنه ابن الجوزي في «العلل» =

قال ابنُ القيِّمِ: كحديثِ ابنِ مسعودٍ عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ: «لو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ، لَطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يُبعثَ رجلٌ منِّي أو من أهلِ بيتِي، يُواطئُ اسمُه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي، يملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجَوراً». رواه أبو داودَ والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، قال: وفي البابِ عن عليٍّ وأبي سعيدٍ وأمِّ سَلَمةَ وأبي هُريرةَ[1]، ثم رَوَى حديثَ أبي هُريرَةَ، وقال: حسنٌ صحيحٌ[2]. انتهى.

وفي البابِ عن حُذيفةَ بنِ اليَمانِ، وأبي أُمامةَ الباهليِّ، وعبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ، وعبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ، وثوبانَ، وأنسِ بنِ مالكٍ، وجابرٍ، وابنِ عبَّاسٍ، وغيرِهم[3].

وفي «سننِ أبي داودَ»: عن عليٍّ: أنَّه نظرَ إلى ابنِه الحسنِ، فقال: إنَّ ابني هذا سيِّدٌ كما سمَّاه النَّبيُّ عليه السَّلامُ، وسيخرجُ من صُلبِه رجلٌ يُسمَّى باسمِ نبيِّكم، يُشبهُه في الخُلُقِ ولا يشبهُه في الخَلقِ؛ ـ أي: في كمالِه ـ يملأُ الأرضَ عدلاً[4].

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ، قال: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ: «المهديُّ منِّي، أجْلَى الجبهةِ، أقْنى الأنفِ، يملأُ الأرضَ قِسطاً وعدلاً كما مُلئتْ ظلماً وجَوراً، يملكُ سبعَ سنينَ». رواه أبو داودَ بإسنادٍ جيِّدٍ، من حديثِ عمرانَ بنِ داوَر القَطَّانِ ـ وقال: حسنُ الحديثِ ـ، عن قتادةَ، عن أبي الصِّدِّيقِ النَّاجيِّ عنه، وروى التِّرمِذِيُّ نحوه من وجهٍ واحدٍ[5].

= (٢/ ٨٦٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٢٥/ ١٥٠).

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٢٣١).

(٣) تقدمت أحاديثهم منثورة في هذه الرسالة.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٩٠)، وإسناده ضعيف، وقد تقدم.

(٥) كذا وقعت هذه العبارة عند المؤلف، وفيها تحريف في بعض الكلمات، وزيادة في أخرى، وإسقاط لبعض العبارات، وسنذكر كلام ابن القيم في «المنار المنيف» ليظهر ما ذكرناه، ونصه: «رواه أبو داود =

وروى أبو دوادَ من حديثِ صالحِ بنِ أبي مريمَ أبي الخليلِ، عن صاحبٍ له، عن أمِّ سَلمةَ، عن النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، قال: «يكونُ اختلافٌ عند موتِ خليفةٍ، فيخرجُ رجلٌ من أهلِ المدينةِ هارباً إلى مكَّةَ، فيأتيه ناسٌ من أهلِ مكَّةَ، فيُخرجونَه وهو كارهٌ، فيُبايعونَه بين الرُّكنِ والمقامِ، ويُبعثُ إليه بَعْثٌ من الشَّامِ فيُخسفُ بهم بالبَيداءِ بين مكَّةَ والمدينةِ، فإذا رأى النَّاسُ ذلك، أتاه أبدالُ الشَّامِ وعصائبُ أهلِ العراقِ، فيُبايعونَه، ثم ينشأُ[1] [رجلٌ] من قريشٍ، أخوالُه كَلْبٌ، فيَبْعَثُ إليهم بعثاً فيظهرونَ عليهم، وذلكَ بعثُ كلبٍ، والخيبةُ لمَن لم يشهدْ غنيمةَ كلبٍ، فيقسمُ المالَ، ويعملُ في النَّاسِ بسُنَّةِ نبيِّهم، ويُلقي الإسلامُ بجِرَانِه في الأرضِ، فيلبثُ سبعَ سنينَ، ثم يُتوفَّى، ويُصلِّي عليه المسلمونَ»[2]، [وفي رواية: «فيَلْبَثُ تِسْعَ سنين»][3].

ورواه الإمامُ أحمدُ باللَّفظينِ[4].

ورواه أبو داودَ من وجهٍ آخرَ، عن قتادةَ، عن أبي الخليلِ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ، عن أمِّ سَلَمةَ، نحوَه[5].

ورواه أبو يعلَى الموصِليُّ في «مسنده» من حديثِ قتادةَ، عن صالحِ أبي الخليلِ، عن صاحبٍ له، وربما قال صالحٌ: عن مجاهدٍ، عن أمِّ سلَمةَ[6]،

= بإسناد جيد من حديث عمران بن داور العمي القطان عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد، وروى الترمذي نحوه من وجه آخر عن أبي الصديق الناجي عنه».

(١) **هنا انتهى السقط في النسخة الخطية «د»**.

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٦)، وقد تقدم.

(٣) ما بين معكوفتين من «المنار المنيف»، وقد أشار إليه أبو داود عقب الرواية السابقة فقال: قال بعضهم عن هشامٍ: «تِسْعَ سِنِينَ»، وقال بعضهم: «سَبْعَ سِنِينَ».

(٤) رواه الإمام أحمد باللفظين (٦/ ٣١٦).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٨)، ولم يسق لفظه.

(٦) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٩٤٠).

والحديثُ حسنٌ، ومثلُه ممَّا يجوزُ أن يُقالَ فيه: صحيحٌ؛ أي: لغيرِه[(١)].

وقال ابنُ ماجه في «سننِه»: حدَّثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ، حدَّثنا أبو داودَ الحَفَريُّ، حدَّثنا ياسينُ، عن إبراهيمَ بنِ محمَّدِ بنِ الحنفيَّةِ، عن أبيه، عن عليٍّ مرفوعاً: «المهديُّ من أهلِ البيتِ، يُصلحُه اللهُ في ليلةٍ»[(٢)]. وياسينُ وإن كان ضعيفاً، فحديثُه يَصْلُحُ للاعتضادِ، وإنْ لم يَصْلُحْ للاعتمادِ.

وفي «سننه» أيضاً من حديثِ ابنِ لَهِيعةَ، عن أبي زيدٍ عمرِو بنِ جابرٍ الحَضْرميِّ، عن عبدِ اللهِ بنِ الحارثِ بنِ جزء[(٣)] الزُّبَيديِّ مرفوعاً: «يخرجُ ناسٌ من أهلِ المشرقِ، فيُوطِّئونَ للمهديِّ»[(٤)]؛ يعني: سلطانَه.

وذكر أبو نُعيمٍ في كتابِه «أخبار المهديِّ»: من حديثِ حُذيفةَ مرفوعاً: «لو لم يبقَ من الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ، لَبعثَ اللهُ فيه رجلاً؛ اسمُه اسمي، وخُلُقُه خُلُقي، يُكْنَى أبا عبدِ اللهِ». ولكنْ في إسنادِه العبَّاسُ بنُ بكَّارٍ، لا يُحتجُّ بحديثِه. وقد تقدَّم هذا المتنُ من حديثِ ابنِ مسعودٍ وأبي هُريرَةَ، وهما صحيحانِ.

وعن أمِّ سلَمةَ قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ يقولُ: «المهديُّ من عِتْرتي؛ من ولدِ فاطمةَ». رواه أبو داودَ وابنُ ماجه[(٥)]، وفي إسنادِه زيادُ بنُ بَيَانٍ، وثَّقَه ابنُ حِبَّانَ، وقال ابنُ معينٍ: ليس به بأسٌ. وقال البخاريُّ: في إسنادِ حديثِه نَظَرٌ[(٦)].

---

(١) قوله: «أي لغيره» من كلام المؤلف لا من كلام ابن القيم.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٥). ورواه أيضاً البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣١٧) وقال: في إسناده نظر. وفيهما: «المهدي منا...»، وقد تقدم.

(٣) تحرفت في النسخ الأربعة إلى: «حسن».

(٤) رواه ابن ماجه (٤٠٨٨).

(٥) رواه أبو داود (٤٢٨٤) واللفظ له، وابن ماجه (٤٠٨٦). وقد تقدم.

(٦) انظر: «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٤٦).

وقال أبو نُعيم: حدَّثنا خلفُ بنُ أحمدَ بنِ العبَّاسِ الرَّامَهُرْمِزيُّ في كتابِه، حدَّثنا همَّامُ بنُ محمَّدِ بنِ أيُّوبَ، حدَّثنا طَالوتُ بنُ عبَّادٍ، حدَّثنا سُويدُ بنُ إبراهيمَ، عن محمَّدِ ابنِ عمرٍو، عن أبي سَلَمةَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عَوفٍ، عن أبيه مرفوعاً: «لَيبعثنَّ اللهُ من عِترتي رجلاً أفرقَ الثَّنايا، أجْلَى الجبهةِ، يملأُ الأرضَ عدلاً، ويفيضُ المالُ». ولكنَّ طَالوتَ وشيخَه ضعيفانِ، والحديثُ ذكرناه للشَّواهدِ.

وقال يحيى بنُ عبدِ الحميدِ الحِمَّانيُّ في «مسندِه»: حدَّثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ، عن أبي حُصينٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُريرَةَ مرفوعاً: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يملكَ [رجلٌ مِن أهلِ بيتي يَفْتحُ القُسْطَنطينيَّةَ وجَبَلَ الدَّيْلَمِ، ولو لم يَبْقَ إلَّا يومٌ طوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتَّى يَفتحَها»[1]، يحيى بنُ عبدِ الحَميدِ وثَّقهُ ابنُ مَعِينٍ وغيرُه وتَكلَّمَ فيه أحمدُ.

وقـال أبـو نُعَيْـمٍ: حدَّثـنـا أبـو الفَـرَجِ الأصبهانـيُّ، حدَّثـنـا أحمـدُ بنُ الحُسين، حدَّثنـا أبـو جعفـرِ بنِ طـارقٍ، عـن الجيدِ بـنِ نَظيفٍ، عـن أبي نَضْـرةَ، عن أبي سـعيدٍ قـال: قـال رسـولُ اللهِ ﷺ: «منَّـا الذي يصلِّي عيسـى ابـنُ مريـمَ خَلْفَه» وهذا إسـنادٌ لا تقـومُ بـه حُجَّةٌ، ولكـنْ في «صحيح ابـنِ حبَّان» مِـن حديثِ عَطِيَّـةَ بنِ عامرٍ نحـوَه[2].

وقال الحارثُ بنُ أبي أُسامةَ في «مسنده»: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ عَقِيلٍ، عن أبيهِ، عن وَهْبِ بنِ مُنبِّهٍ، عن جابر قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ينزلُ عيسى بنُ مريمَ، فيقولُ أميرُهم الـمَهْديُّ: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَهم أميرُ بعضٍ، تَكرِمةَ اللهِ لهذه الأُمَّةِ»[3]، وهذا إسنادٌ جيدٌ.

---

(١) ومـن طريـق يحيـى بن عبـد الحميـد: رواه الرافعي فـي «التدويـن في أخبـار قزويـن» (٣/ ٢٩٧).
وقيـس بـن الربيـع قـال عنـه يحيـى: ليس بشـيء، وقـال أبـو حاتم: ليـس بقـوي ومحلـه الصدق. انظـر: «الكاشـف» للذهبـي (٢/ ١٣٩).

(٢) لم أجده.

(٣) لم أجده في المطبوع من «مسند الحارث»، وعزاه السيوطي في «الحاوي» (٢/ ٦١) لأبي نعيم. =

وقال الطبرانيُّ: حدَّثنا محمَّدُ بنُ زكريَّا الهلاليُّ، حدَّثنا العبَّاسُ بنُ بكَّارٍ، حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ زيادٍ، عن الأعمشِ، عن زِرِّ بنِ حُبيشٍ، عن حُذيفةَ قال: خَطَبَنا النبيُّ ﷺ، فذَكَرَ ما هو كائنٌ ثُمَّ قال: «لو لمْ يَبْقَ مِن الدُّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتَّى يَبْعثَ رجلاً مِن وَلَدي اسمُه اسمي»[1]، ولكنَّ هذا إسنادٌ ضعيفٌ.

وهذه الأحاديثُ أربعةُ أقسامٍ: صِحَاحٌ، وحِسَانٌ، وغرائبُ، وموضوعةٌ.

وقد اخْتَلَفَ الناسُ في المهديِّ على أربعةِ أقوالٍ:

أحدُها: أنَّهُ المسيحُ ابنُ مريمَ، وهو المهديُّ على الحقيقة.

واحْتَجَّ أصحابُ هذا بحديثِ محمدِ بنِ خالدٍ الجَنَديِّ المتقدِّمِ، وقد بيَّنَّا حالَه، وأنَّه لا يَصِحُّ، ولو صحَّ لم يَكُنْ فيه حجَّةٌ؛ لأن عيسى أعظمُ مَهْديٍّ بين يَدَي رسولِ الله ﷺ وبينَ السَّاعةِ، وقد دَلَّتِ السُّنَّةُ الصَّحيحةُ عن النبيِّ ﷺ على نزولِهِ على المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ، وحُكْمِه بكتابِ اللهِ، وقَتْلِه اليهودَ والنصارى، ووَضْعِهِ الجزيةَ، وإهلاكِ أهلِ المِلَلِ في زَمَانِه، فيَصِحُّ أنْ يُقالَ: لا مَهْديَّ في الحقيقةِ سِوَاه وإنْ كانَ غيرُه مَهْدِيًّا؛ كما يُقالُ: لا عِلْمَ إلَّا ما نَفَعَ، و: لا مالَ إلَّا ما وَقَى وجهَ صاحبِه، وكما يَصِحُّ أنْ يُقالَ: إنَّما المهديُّ عيسى ابنُ مريمَ، يعني: المهديَّ الكاملَ المعصومَ.

القول الثاني: أنَّه المهديُّ الذي وَلِـيَ من بني العبَّاس، وقد انْتَهَى زمانُه، واحْتَجَّ أصحابُ هذا القولِ بما رواهُ أحمدُ في «مسنده»: حدَّثَنا وكيعٌ، عن شَرِيكٍ، عن عليِّ ابنِ زيدٍ، عن أبي قِلَابةَ، عن ثَوْبانَ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إذا رَأيتُمُ الرَّاياتِ السُّودَ قد أَقْبلَتْ مِن خُراسانَ فأْتُوها ولو حَبْواً على الثَّلْجِ فإنَّه فيها خليفةُ اللهِ المهديُّ»[2].

= ورواه مسلم (١٥٦) من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر به، دون كلمة: «المهدي».

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (١٠٢٢٢) من طريق زر عن ابن مسعود، ولم أجده من حديث حذيفة، وقد تقدم قريباً حديث ابن مسعود.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٧)، وقد تقدم.

وعليُّ بنُ زيدٍ قد رَوَى له مسلمٌ مُتابَعةً، ولكنْ هو ضعيفٌ وله مناكيرُ تفرَّدَ بها، فلا يُحْتجُّ بما ينفرِدُ به.

ورَوَى ابنُ ماجَه مِن حديثِ الثَّوريِّ، عن خالدٍ عن أبي قِلَابةَ، عن أبي أسماءَ، عن ثوبانَ، عن النبيِّ ﷺ نحوَه[1]، وتابَعَهُ عبدُ العزيزِ بنُ المختارِ عن خالدٍ.

وفي «سنن ابن ماجه» عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ قال: بينَما نحنُ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ أقبلَ فتيةٌ مِن بني هاشم، فلمَّا رآهُمُ النبيُّ ﷺ اغْرَوْرَقَتْ عيناهُ وتَغَيَّرَ لَوْنُه، فقُلْتُ: ما نَزَالُ نَرَى في وجهِكَ شيئاً نَكْرَهُه؟ قال: «إنَّا أهلُ بيتٍ اختارَ اللهُ لنا الآخرةَ على الدنيا، وإنَّ أهلَ بيتي سيَلْقَوْن بلاءً وتَشْريداً وتَطْريداً، حتَّى يأتيَ قومٌ مِن أهلِ المشرقِ][2] ومعهم راياتٌ سودٌ يَسألونَ الحقَّ فلا يُعطَونَ، فيُقاتلونَ فيُنصرونَ، فيُعطونَ ما شاؤوا فلا يقبلونَه حتى يدفعوها إلى رجلٍ من أهلِ بيتي، فيَمْلؤُها قِسطاً كما مُلئتْ جَوراً، فمَن أدركَ ذلك منكم، فليأتِهم ولو حَبواً على الثَّلجِ»[3].

وفي إسنادِه يزيدُ بنُ أبي زيادٍ، وهو سيِّءُ الحفظِ، اختلطَ في آخرِ عُمُرِه، وكان يَقبلُ الفُلُوسَ.

وهذا والذي قبلَه لو صحَّ، لم يَكنْ فيه دليلٌ على أنَّ المهديَّ الذي تولَّى من بني العبَّاسِ هو المهديُّ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ؛ بل هو مهديٌّ من

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤). ورجاله ثقات، لكن خالف الثوريَّ في إسناده عبد الوهاب بن عطاء فرواه عن خالد الحذاء موقوفاً، كما رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (٨٩٦) عن أبي نصر الخفاف (وهو عبد الوهاب بن عطاء) عن خالد الحذاء، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٣١)، وعنه البيهقي في «الدلائل» (٦/ ٥١٦)، من طريق يحيى بن أبي طالب، عن عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء.

(٢) من قوله: «رجلٌ من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم» إلى هنا ساقط من النسخ، ووقع مكانه في «ف» و«و» بياض بمقدار كلمة، ولعله خرم وقع في نسخة المؤلف من «المنار المنيف» فاستدركناه منه، فإن الكلام لا يستقيم إلا به.

(٣) رواه ابن ماجه (٤٠٨٢) وقد تقدم.

جملةِ المهديِّينَ، وعمرُ بنُ عبدِ العزيزِ كان مهديًّا؛ بل هو أولى باسم المهديِّ منه[١]، وقد قال عليه السَّلامُ: «عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ المهديِّينَ من بعدي»[٢].

وقد ذهبَ الإمامُ أحمدُ ـ في إحدى الرِّوايتين عنه ـ وغيرُه إلى أنَّ عمرَ ابنَ عبدِ العزيزِ منهم، ولا ريبَ أنَّه كان راشداً مهديًّا، ولكن ليس بالمهديِّ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ؛ فالمهديُّ في جانبِ الخيرِ والرُّشدِ كالدَّجَّالِ في جانبِ الشَّرِّ والضَّلالِ، وكما أنَّ بين يدي الدَّجَّالِ الأكبرِ صاحبِ الخوارقِ دجَّالونَ كذَّابونَ، فكذلك بين يدي المهديِّ الأكبرِ مهديُّونَ راشدونَ.

القولُ الثَّالثُ: أنَّه رجلٌ من أهلِ بيتِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّم؛ من ولدِ الحسنِ بنِ عليٍّ، يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ، قال: «وقد امتلأَتْ الأرضُ جَوراً وظلماً، فيملؤُها قِسطاً وعدلاً»، وأكثرُ الأحاديثِ على هذا تَدُلُّ.

وفي كونِه من ولدِ الحسنِ سِرٌّ لطيفٌ، وهو أنَّ الحسنَ تركَ الخلافةَ للهِ، فجعلَ اللهُ من ولدِه مَن يقومُ بالخلافةِ الحقِّ المتضمِّنةِ للعدلِ الذي يملأُ الأرضَ، وهذه سنَّةُ اللهِ في عبادِه: أنَّه مَن تركَ شيئاً للهِ، عوَّضَه اللهُ أو أعطى ذُرِّيتَه أفضلَ ممَّا تمنَّاه، وهذا بخلافِ الحسينِ؛ فإنَّه حرصَ عليها، وقاتلَ عليها، فلم يَظفرْ بها[٣].

هذا لفظُ ابنِ القَيِّمِ، وهو ليسَ بقيِّمٍ؛ فإنَّ الحسينَ حاشاه أن يكونَ حريصاً على الخلافةِ ولا عازماً على المقاتلةِ؛ بل أُلزم بمطالبةِ جماعةٍ من الأمَّةِ أنْ يأتيَ الكوفةَ ويُخلِّصَ المؤمنينَ عن أيدي الظَّلَمةِ والفجرةِ، فوجبَ عليه الإتيانُ إليهم، فلمَّا أشرفَ عليهم، خالفوا عهودَهم، ونكثوا وعودَهم، وقد ظفرَ حسينٌ بسعادةِ

---

(١) في «ج»: «من غيره».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢). قال الترمذي: حسن صحيح.

(٣) انظر: «المنار المنيف» (ص ١٤١ ـ ١٥١).

الشَّهادةِ التي هي أحسنُ مراتبِ السِّيادةِ[1]، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، إذْ كان ذلك بالكتابِ مسطوراً.

قال: وقد رَوَى أبو نُعيمٍ من حديثِ أبي سعيدٍ الخُدريِّ مرفوعاً: «يخرجُ رجلٌ من أهلِ بيتي، ويعملُ بسُنَّتي، ويُنزلُ اللهُ له البركةَ من السَّماءِ، وتُخرجُ له الأرضُ بركتَها، ويملأُ الأرضَ عدلاً كما مُلئتْ ظلماً، ويعملُ على هذا الأمرِ سبعَ سنينَ، وينزلُ بيتَ المقدسِ»[2].

ورُويَ أيضاً من حديثِ أبي أُمامةَ، قال: خطبَنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ، وذَكرَ الدَّجَّالَ، قال: «فتَنفِي المدينةُ الخَبَثَ كما يَنفِي الكِيرُ خَبَثَ الحديدِ، ويُدعى ذلك اليومُ يومَ الخلاصِ، فقالت أمُّ شَريكٍ: فأينَ العربُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: هم يومئذٍ قليلٌ، وجُلُّهم ببيتِ المقدسِ، وإمامُهم المهديُّ؛ رجلٌ صالحٌ»[3].

ورُويَ أيضاً من حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّاسٍ مرفوعاً: «لم تهلكْ أُمَّةٌ وأنا في أوَّلِها، وعيسى في آخرِها، والمهديُّ في وسطها»[4]. فهذه أقوالُ أهلِ السُّنَّةِ.

وأمَّا الرَّافضيَّةُ[5] والإماميَّةُ فلهم **قولٌ رابعٌ**: وهو أنَّ المهديَّ هو محمَّدُ بنُ الحسنِ العَسكريُّ المنتظَرُ، من ولدِ الحسينِ بنِ عليٍّ، لا من ولدِ الحسنِ، الحاضرُ في الأمصارِ، الغائبُ عن الأبصارِ، الذي يُورِقُ العصا، ويختمُ العصا[6]، دخلَ سِردابَ

---

(١) «د»: «السعادة».

(٢) ورواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٧٥). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣١٧): فيه من لم أعرفهم. وقد تقدم.

(٣) قطعة من حديث طويل رواه ابن ماجه (٢٠٧٧)، وقد تقدم.

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥). وقد تقدم.

(٥) في «د»: «الرافضة».

(٦) كذا في النسخ الأربعة، والذي في «المنار المنيف»: «يورث العصا ويختم الفضا».

سامرَّاءَ طفلاً صغيراً [مِن] أكثرِ من خمسِ مئةِ سنةٍ، فلم تَرَه بعد ذلك عينٌ، ولم يُحَسَّ له بخبرٍ ولا أثرٍ، وهم ينتظرونَه[١] كلَّ يومٍ، ويقفونَ بالخيلِ على بابِ السِّردابِ، ويصيحونَ به أن يخرجَ إليهم: اخرجْ يا مولانا! اخرجْ يا مولانا! ثم يرجعونَ بالخيبةِ والحرمانِ، فهذا دأبُهم ودأبُه، ولقد أحسنَ القائلُ:

مـا آنَ للسِّـردابِ أن يَلِـدَ الـذي ... كَلَّمتُمُـوهُ بجهلِكـم مـا آنَ

فعلـى عُقُولكـم العفـاءُ فإنَّكـم ... ثَلَّثْتُـم العنقـاءَ والغِيلانـا

ولقـد أضحـى هـؤلاءِ عـاراً علـى بنـي آدمَ، وضُحْكَةً يَسخرُ منهـم كلُّ عاقلٍ فـي العالَم.

وأمَّا مهديُّ المغاربةِ: محمَّدُ بنُ تُومَرْتَ، فإنَّه رجلٌ كذَّابٌ ظالمٌ متغلِّبٌ بالباطلِ، ملكَ بالظُّلمِ والتَّغلُّبِ والتَّحيُّلِ، فقتلَ النُّفوسَ، وأباحَ حريمَ[٢] المسلمينَ، وسَبَى ذَرارِيهم، وأخذَ أموالَهم، وكان شرَّاً على الأمَّةِ من الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ بكثيرٍ، وكان يُودِعُ بطنَ الأرضِ في القبورِ جماعةً من أصحابِه أحياءً، ويأمرُهم أن يقولوا للنَّاسِ: إنَّه المهديُّ الذي بشَّرَ به عليه السَّلامُ، ثم يردُمُ عليهم لئلَّا يُكذِّبوه بعد ذلك، وسُمِّيَ أصحابُه الجَهْمِيَّةُ نُفاةُ صفاتِ الرَّبِّ وكلامِه وعُلوِّه على خَلْقه، واستوائِه على عرشِه، ورؤيةِ المؤمنينَ له بالأبصارِ يومَ القيامةِ: (الموحِّدينَ)، واستباحَ قتلَ مَن خالفَهم من أهلِ العلمِ والإيمانِ، ويُسمَّى بالمهديِّ المعصومِ.

ثم خرجَ المهديُّ الملحدُ من أبه[٣] عُبيدِ اللهِ بنِ ميمونَ بالقَدَّاحِ[٤] ـ أي: من

---

(١) في «د» و«ج»: «ينتظرون».

(٢) في «ج»: «دم».

(٣) قوله: «من أبه» كذا في «و» و«ج» و«ف»، وفي «د»: «من ذرية». وليست في «المنار المنيف»، حيث فيه: «الملحد عبيد الله».

(٤) في المصدر: «القداح» دون باء.

أراضي اليمنِ[١] ـ وكان جدُّه يهوديّاً ابنَ بنتِ مجوسيٍّ، فانتسبَ بالكذبِ والزُّورِ إلى أهلِ البيتِ، وادَّعى أنَّه المهديُّ المبشَّرُ، وملكَ وتغلَّبَ، واستفحلَ[٢] أمرُه إلى أن استولَتْ ذُرِّيَّتُه الملاحدةُ المنافقونَ الذين كانوا أعظمَ النَّاسِ عداوةً للهِ ورسولِه على بلاد اليمنِ والمغربِ ومصرَ والحجازِ والشَّام، واشتدَّتْ غُربةُ الإسلامِ ومحنتُه ومصيبتُه بهم، وكانوا يدَّعونَ الإلهيَّةَ، ويدَّعونَ أنَّ للشَّريعةِ باطناً يُخالفُ ظاهرَها، وهم ملوكُ القَرَامِطَةِ الباطنيَّةِ أعداءِ الرُّسلِ، تستَّروا بالرَّوافضِ والانتسابِ إلى أهلِ البيتِ، فدانوا بدِينِ أهلِ الإلحادِ، ولم يَزَلْ أمرُهم ظاهراً إلى أن أنقذَ اللهُ الأمَّةَ ونصرَ الإسلامَ بالملكِ صلاحِ الدِّينِ يوسفَ بنِ أيّوبَ، فاستنقذَ المِلَّةَ الإسلاميَّةَ منهم، وأبادَهم، وعادتْ مصرُ دارَ إسلامٍ[٣] بعد أنْ كانتَ دارَ نفاقٍ وإلحادٍ في زمنِهم.

والمقصودُ: أنَّ هؤلاءِ لهم مهديٌّ، وأتباعُ ابنِ تُومَرْتَ لهم مهديٌّ، والرَّافضةُ الاثنا عشريَّةُ لهم مهديٌّ، فكلٌّ من هذه الفرقِ يدَّعي في مهديِّه الظَّلومِ الغَشومِ أو المستحيلِ المعدومِ أنَّه الإمامُ المعصومُ والمهديُّ المعلومُ، الذي بشَّرَ به النَّبيُّ عليه السَّلامُ وأخبرَ بخروجِه، نحن ننتظرُه كما ينتظرُ اليهودُ القائمَ الذي يخرجُ في آخرِ الزَّمانِ؛ يعني: الدَّجالَ الأكبرَ، فتعلو به كلمتُهم، ويقومُ به دِينُهم ومِلَّتُهم، وينتصرونَ به على جميعِ الأممِ، والنَّصارى تنتظرُ المسيحَ يأتي قبل يومِ القيامةِ، فيُقيمُ دِينَ النَّصرانيَّةِ، ويُبطلُ سائرَ الأديانِ، وفي عقيدتِهم شرعُ المسيحِ الذي هو إلهٌ حقٌّ من إلهٍ حقٍّ من جوهرِ أبيه الذي نزلَ لخاصِّنا[٤].. إلى أن قالوا: وهو مستعدٌّ للمجيءِ قبل يومِ القيامةِ.

---

(١) «أي من أراضي اليمن» من كلام المؤلف وليست في المصدر.

(٢) في «ج»: «واستعلى».

(٣) «د»: «الإسلام».

(٤) في «ج» و«د»: «لخلاصنا»، والمثبت من «ف» و«و». ووقع في مطبوع «المنار المنيف» مكانها: «طامينا».

فالمِلَلُ الثَّلاثُ تَنتَظِرُ إماماً قائماً يقومُ في آخرِ الزَّمانِ، ومنتظَرُ اليهودِ هو الذي يتبعُه من يهودِ أصبهانَ سبعونَ ألفاً.

وفي «المسندِ» مرفوعاً: «أكثرُ أتباعِ الدَّجَّالِ اليهودُ والنِّساءُ»[١].

والنَّصارى تَنتظرُ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ، ولا ريبَ في نزولِه، ولكنْ إذا نزلَ كسرَ الصَّليبَ، وقتلَ الخنزيرَ، وأبادَ المِلَلَ كلَّها سوى مِلةِ الإسلامِ[٢].

أماتَنا اللهُ على مِلَّةِ الإسلامِ، ومتابعةِ نبيِّنا محمَّدٍ عليه أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ، وعلى آلِه وصحبِه وسلَّم أجمعينَ[٣].

***

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٦) من حديث عثمان بن أبي العاص.

(٢) انظر: «المنار المنيف» (١٥١ ـ ١٥٥).

(٣) جاء في آخر النسخة الخطية «ج»: «تمت على يد العبد المذنب الذليل، قائلًا: حسبنا الله ونعم الوكيل، أحمد بن خليل، غفر لهما الجليلُ الجميل، بعد الظهر يوم الأربعاء... سابع ربيع الأول، بعونه عزَّ وجلَّ، عام خمس وسبعين ومئة وألف، والحمد لله وحده».

وجاء في آخر النسخة الخطية «د»: أنها نسخت بخط السيد محمد بن إبراهيم الحاج عثمان بن الحاج محمد بن شاه حسين الديوركي في بلدة سيواس في المدرسة الشفائية، في سنة (١١٣٧) في شهر صفر الأخير.